

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود



أَبُو الْبَرَكَاتِ
سَيِّدِي أَحْمَدُ الدَّزْدِيرِ



دار المعارف

الدكتور عبد الحلیم محمود

أبو البركات سیدی أحمد الدردیر



دارالمعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا ومولانا محمد الداعي للحق
والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله
وصحبه والتابعين. آمين.

﴿ رَبَّنَا عَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا ﴾ سورة الكهف - الآية ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد بدأت التفكير في الكتابة عن الإمام الدردير في شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٣هـ وذلك أثناء زيارتي لضريحه المبارك، وأخذت في الشهر نفسه أجمع المراجع من هنا وهناك وقد يسر الله جمعها أو جمع الأهم منها في أيام قليلة، وما إن تم جمع الأهم منها حتى هيا الله الظروف لزيارة الحبيب المصطفى ﷺ في شهر مولده الشريف، فأخذت المراجع معي، وفي الروضة الشريفة، بدأت الكتابة عن سيدي أحمد الدردير، ولما انتهت مدة الإقامة بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، وسافرت معتمراً إلى مكة المشرفة، أخذت في الدراسة والكتابة عن سيدي الدردير بجوار بيت الله الحرام.

ولقد وضعني البحث والدراسة عن سيدي الدردير في أجواء ما كان يخطر ببالي - قبل دراسته - أن أتعرض لها.

لقد وضعني البحث عن أبي البركات بقوة في:

١ - جو الأزهر، ومشيخة الأزهر، وأوقاف الأزهر.

ووضعنى فى قوة فى :

٢ - جو الخلافة لرسول الله ﷺ .

ووضعنى فى قوة فى :

٣ - جو الطرق الصوفية، والإصلاح الصوفى .

والغريب فى الأمر أننى بدأت طبيعياً فى الكتابة عن والده، ثم فى الكتابة عنه، وفى أثناء الكتابة عنه جرى القلم - دون سابق تخطيط - فى هذه الأجواء، وتركت القلم يسير دون محاولة التحكم فيه، ولعلنى لو أردت التحكم فيه لما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وبعد أن أكملت اللمسات الأخيرة بالقاهرة، نظرت فإذا فى الكتاب ما يشبه الاستطراد فى موضعين، وهذا الاستطراد هو فى هذه الأجواء التى ذكرتها والتى لم أكن قد خططت لها من قبل، ولكنى فوجئت بأن هذا الاستطراد يزول، إذا جعلت البعض منه مقدمة، والبعض الآخر خاتمة، وظهرت أمامى معالم المقدمة واضحة كل الوضوح بدءاً ونهاية، ومعالم الخاتمة واضحة كل الوضوح بدءاً ونهاية.

كيف كانت مكانة الأزهر فى عهد الإمام الدردير - شيخ مشايخ المالكية - وكيف كان وضع شيخ الأزهر؟

لقد كان منصب شيخ الأزهر - إذ ذاك - له جلاله، وله قداسته، لقد كان يمثل فى مصر (الخلافة)، وقد كان شيخ الأزهر يعرف للمنصب حقه، وكان يشعر بأنه أب لجميع المسلمين، وهو باعتباره أباً يحتل مكان الأبوة فى شعور واضح به.

إنه مسئول عن سلوك أبنائه : عن سلوكهم أفراداً، وعن سلوكهم شعباً، وعن سلوكهم حكاماً.

وكان الشعب يلجأ إلى أبيه إذا نزلت به نازلة، وكان الحكام يلجئون إلى شيخ الأزهر في أمورهم الخطيرة.

وكان شيخ الأزهر قوياً في تواضعه، عزيزاً في حكمته:

في ذلك الزمن كانت الخلافة لرسول الله ﷺ في تركيا، وكانت تركيا معقد آمال المسلمين بسبب الخلافة، وكانت أعين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تمتد إلى تركيا راجية ومتوسلة، مستنصرة أو ناصرة.

إن الخلافة في تركيا جعلت المسلمين يتطلعون إليها كرمز لرسولهم، وقائم على دينهم، وساهر على مصالحهم، وكان الكثير من هؤلاء الخلفاء يشعرون بالمسئولية، الملقاة على عاتقهم، ويعملون ما استطاعوا لخدمة المسلمين، ونشر رسالة الله.

وكان جيش الخلفاء معداً - بقدر الاستطاعة - لإغاثة المظلومين من المسلمين أينما كانوا.

لقد كان للخلفاء قداسة، وكان لهم هبة في الشرق والغرب، وكانوا يقولون فتصفي الدنيا لقولهم.

وكان شيخ الأزهر في مصر يحمل نفس الإجلال والتقدير: إنه خليفة رسول الله في هذه البقاع، وكانت تتمثل فيه صفات يقوم الاختيار على أساسها، كان يتمثل فيه:

١ - العلم المكتسب الذي يحصله الإنسان بذكائه من الكتب الخاصة بالعلوم الإسلامية، كتب التفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، والتوحيد وعلوم العربية، وكان يمتاز على الأقل في علم أو علمين من هذه العلوم مع إتقانه لبقيتها، وما كان ذلك إلا لأنه كان يواصل الليل بالنهار في التحصيل.

لقد كان العلماء إذ ذاك يستيقظون قبل الفجر ويتعبدون ويتهجدون، ويبدءون الدراسة بعد صلاة الفجر مباشرة، ويبدءونها على طهر وروحانية، وكان شيخ الأزهر طالباً وأستاذاً على هذا الفرار: إنه كان عالماً.

٢ - وكان على ثقة في الله سبحانه ، ومن أجل ذلك لم يكن يخشى أحداً إلا الله إنه كان من هؤلاء الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً غيره، وكانت ثقته في الله هذه تذلل له الأمور، وتملأ قلوب الآخرين هيبة.

والثقة في الله ينبثق عنها أمور كلها سامية: ينبثق عنها:

طاعته سبحانه، وكان شيخ الأزهر دائماً من العباد.

وكان ينبثق عنها الإخلاص في السر والعلن، والإخلاص من المبادئ الأولى الواجبة في الإسلام.

وكان ينبثق عنها التوكل عليه سبحانه، ولأنه إذا وثق به فإنه يتوكل عليه.

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(١)

وكان ينبثق عنها فضائل أخرى كلها سام ونافع.

٣ - ولم يكن في ذلك الوقت شيخ الأزهر عالة على الحكومة: وذلك أن الأزهر حفظ على الأمة لغتها وإيمانها، فوفت له الأمة من أجل ذلك بإجلالها واحترامها، وبأوقاف كثيرة وقفتها عليه.

لقد كان موقوفاً على الأزهر ما لا يكاد يحصى من أموال، وكان الأزهر يعيش في حدود أوقافه كريم النفس، رافع الرأس، وكان لا يشعر بضيق في دنيا، إنه يعرف ماله، وفي حدود دائرته ينفق ولا يتجاوز دائرته.

(١) سورة الطلاق : الآية ٣.

وكان صدر الحاكمين يضيق بذلك أحياناً فما كان لهم في إخضاع الأزهر من سبيل من ناحية الرزق.

وأخذ الحاكمون في عصر دولة محمد علي يحتالون للأمر حتى أمكنهم بالمكر والخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر، ويعطوه مالا من خزينة الدولة، يضيق عليه فيه سنوياً، ولا تساير الدولة نمو الأزهر وتطوره، وأصبح الأزهر في ضيق يزداد ضيقاً كل عام.

أما أوقاف الأزهر التي أخذت منه بالمكر والخديعة، فإنها شرعاً ما زالت له، لأن أوقاف البر لا تؤخذ هكذا، ولا يغير مصرفها، وكل هؤلاء الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراماً، ومن يأكل حراماً لا يقبل الله منه عملاً، وإن الرجل ليقذف باللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً كما يقول رسول الله ﷺ، ولا يتقبل الله ممن يأكل أوقاف الأزهر - ولو كان قد اشتراها - دعاء، فشرط استجابة الدعاء طيب المطعم، كما قال رسول الله ﷺ حينما طالب منه سيدنا سعد رضي الله عنه أن يدعو الله له ليكون مستجاب الدعوة:

روى ابن مردويه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا اللَّسَنُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ خَلَدًا طَيِّبًا﴾^(١) فقام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال: (يا سعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به).

وإن هذا الذي يأكل أموال الأوقاف إنما يتقلب في حرام دائم:

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٨.

وبهذه المناسبة نقص هنا قصة لها مغزاها الصادق :

جاء عصفور إلى سيدنا سليمان عليه السلام وقال له :

إنى مع ما ترانى عليه من صغر وضعف يمكننى أن أهدم ملكك
هدماً تاماً.

ويبتسم سليمان عليه السلام، ويسأله : كيف؟

فقال : أذهب إلى البحر فأبتل فيه. ثم آتى إلى أرض من أرض الأوقاف
وأتمرغ فيها، فيعلق بى من ترابها، ثم آتى إلى قصرك فأنفض نفسى فيه،
فما إن يحصل فى بيتك من أرض الأوقاف شىء إلا كان ذلك سبباً فى
خراب قصرك وملكك.

ومعنى القصة صادق، وثمره المعنى الصادق رهيبة.

ويقول أسلافنا رضوان الله عليهم :

حينما تخرج من أرض أوقاف وكنت سائراً فانفض رجلك وملا بسك
حتى تخرج منها وأنت على ما يشبه اليقين من النقاء من آثارها.

إن الأوقاف الخيرة لأهلها لا تباع، ولا تصرف فى غير مصارفها.

إنها لما وقفت عليه، والا فهى دمار يصيب المتسبب والآكل والمالك
والمحيط كله.

ولابد من رد مال الأزهر إليه حتى تكون البركة ويكون النماء ويكون
الخير، وهذه الأوقاف ثابتة فى حجج، وما زالت هذه الحجج محفوظة،
وكما اغتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فإنها يجب أن ترد ثانية.

هل من خيرين يتبنون الفكرة؟

هل من محبين للأزهر يعاونون على رد أوقافه إليه؟

هل من محتسب يبدأ؟

لعل وعسى ، والخير فى الناس ما زال باقيا

٤ وكان علماء الأزهر، وكان شيخه عازفين عن دنيا يتكالب عليها
الناس، وعن رئاسات يجرى وراءها الكثيرون.

وخذ مثلاً الشيخ عبد الرحمن الشربيني الخطيب رحمه الله .

لقد عرضت عليه مشيخة الأزهر فأبى، فعرضت على غيره من العلماء
فلم يقبلها واحد منهم، وعلل كل منهم امتدعه عن لقبول، إن
الشيخ الشربيني أحق بها منه، واجتمع الجميع على أنه لمقدم بينهم
لهذا المنصب

وقبل الشيخ الشربيني هذا المنصب على أن يعين له وكيل. ولكنه
ما لبث بعد هذا أن استقال بعد أن استقر فى هذا المنصب اثنى عشر عاماً،
وكان له نشاط علمى بارز.

لقد كتب على المطول فى البلاغة.

وكتب على البهجة فى فقه الشافعية.

وكتب على جمع الجوامع فى أصول لفقه

وتوج ذلك كله بتفسيره الكبير

ومثال آخر إنه الشيخ سليم البشرى رحمه الله

لقد تولى المشيخة عام ١٣١٧هـ، وزار مع الخديوى عباس معاهد الأزهر.
وكن قبل توليه المشيخة رئيساً للجنة إصلاح الأزهر، وقدم مشروع الإصلاح
الذى أصبحت تبعاً له رئاسة الأزهر لشيخ الأزهر، وأصبحت مشيخته
مشيخة نظامية

أب عن نشاطه العلمى فقد كان يقرأ فى الفجر صحيح البخارى، وكان له إسناد فى الحديث، وألف عدة كتب فى الأدب والتوحيد والنحو، ومنها شرح البردة وغيرها.

ولما هدم مصطفى كمال الخلافة بناء على تخطيط محكم لتمزيق المسلمين وإضعافهم زاد تطلع الناس إلى الأزهر وأملهم فيه^(١).

(١) كتب الأستاذ سعيد الأفندى مقالا فى غاية لنفاة يصحح به كثيرا من الأفكار الخاطئة عن الدولة العثمانية، وعن سلطان عبد الحميد بلدات، ونحن نقتبط بنقله هنا عن مجلة العربى العدد ٢١٩

«سبب خلع السلطان عبد الحميد وثيقة بتوقيعه، فريدة مجهولة تصرح بالسبب، كانت الصهيونية هى خاتمة السلطان، ومقوضة الدولة العثمانية»

لعل من سجهل من ضحايا لتاريخ أصعاف من نعرف، ولم يكن الأقدمون بمعدين عن الصوب حين جعلوا التاريخ ظنًا غير يقينى. وقد آمن الإنسان فى سيرة من عايشهم وحبهم من المشهورين. رأى يوما شاعرا، بين حقيقتهم اتى عرفها والتراجم لتى سطرت لهم فيما بعد، وما يزال عمل المؤرخ للآحق بصحيحا واستمراكا لأعمال من سبقه من مؤرخين على هدى أضواء جديدة تسلط

وتاريخ سلطان عبد الحميد كما عرض غير مرة - من الأمثلة الصارخة على تروير (وسائل الدعاية والإعلام) بلحقائق، وبحر بيوم وقد انبسط سلطان الإعلام بما اخترع العلم من وسائل روده بها كالإذاعة والتليفزيون والأخبار بصورة - أحوج ممن قبلنا إلى الشك واتهام الإشاعات والإداعات، والتحري والتروى فيما يشع ويداع، إذ كما هو عهد السلطان مثلا لا يملكون من هذه الوسائل إلا صحف الأخبار على ما كانت عليه من بطة، ومع هذا استطاعت تشويه سيرته وصورته على غير ما خلقه الله، فكيف لو أدركته هذه الوسائل لحديثة وما يصدر عنها مما هو اليوم أخبار وإداعات حتى يد، اودع غدا بطون الأسفر صار تاريخا وحقائق؟

معالم فى سيرة عبد الحميد

لأهد من انتمرض لهذه الوثيقة التى تنشر لأول مرة من إلمامة حافظة نثبت بها بعض معالم فى سيرة هذا السلطان الذى امتد حكمه بين سنين (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) كانت السلطة حين جلس عبد الحميد على العرش مثقنه باستعاب «سواجه أشد الأزمات فشهدت فى عهده =

= نشاطا كبيرا في العراق، وامتدت السكك الحديدية في ولاياتها الأوروبية والآسيوية، وأقيمت المرفئ، متعددة، وأنشئ الخط الحجازي بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكن للأجنبي فيه صلات مالية»

وبرر في عهده كثير من رجالات العرب في مناصب رفيعة حماسة، وأكثر السلطان من تقريب العرب وعظمائهم حتى كانت لهم كفة مرجحة في الحكم. فالكاتب الثاني للسلطان هو (أحمد عزة باث العابد) عربي من دمشق، وشيخ السلطان (أبو الهدى الصيادي) عربي من ضواحي حلب، والسلطان شديد المحبة للعرب قوى الاعتقاد فيهم. أكثر منهم في طباطه وحرسه الخاص وموظفي (سرياه) حتى جلب على نفسه بقعة (لعمريين من الأتراك) وكان يحلم ب (الجامعة الإسلامية) تحت لواء الخلافة حتى عرفه سياسته العامة الداخلية بأنها (إسلامية تعصب على العرب)، وكثيرا ما هدد الدول الأجنبية برفع راية الجهاد التي إذا رفعها وجب على كل مسلم في الأرض الانضواء تحتها مجاهدا في سبيل الله

أم سياسته الخارجية فهي التي مدت في عمر الملكة نحو جيل، ولم تكن سياسة جهالة وغباوة وعوظف كما وصفها الاتحاديون الذين خفوا عبد الحميد على السلطة. وإن كانت سياسة عقل ناضج وخبرة كاملة، وشهد خصمه جمال الدين الأفغاني فقال

«رأيت أنه يعلم دقائق الأمور السياسية، ومرامي الدول الغربية، وهو معد لكل هوة بطر على الملك مخرجاً وسلماً، وأعظم ما أدهشني ما أعده من خفي الوسائل وأقصى الوسائل كيلا تنفق أوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية، ويربها عيانا محسوسا أن تجرئة السلطة العثمانية لا يمكن إلا بحراب يعم الممالك لأوربيه بأسرها، وكما حاولت أوروبا أن تجمع كلمة البلقان للحروح على يدولة بحرب، كان لسلطان يسارع بدهائه العجيب لحل عقد ما ربطوه وتفريق ما جمعوه من كلمة وكيد».

«هرتزل» يساوم السلطان:

في سنة ١٨٩٧م عرض (هرتزل) مؤسس الصهيونية على السلطان عبد الحميد فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وأن هذا كاف لنقضاء على حركة القومية العربية، وسيكون من تأسيسه فوائد جمة للمملكة. وأن هرتزل يتعهد بتسديد ديون الدولة كلها ويتقدم مبلغ ضخم للسلطان خاصة لقاء هذا السماح. فلم يكن من السلطان إلا الرفض الشديد المشروح في وثيقتنا التي نشرها، وكانت الدول الأوروبية (روسيا وكنكتر وفرنسا) في غيظ من ميل السلطان إلى منح امتياز الخط الحديدي الوصل بين إستانبول وبغداد لألماني، فدأبت جميعا =

= على تحريك العناصر المختلفة في الدولة وبمدها باسموات سرية لإعلان العصيان كما فعلت في الولايات البلقانية. وعلى هذه تأسست أحزاب مناوئة للسلطان، وكان بعض اليهود المتظاهرون بالإسلام على رأس الساعين في بغداد، وسفدت الاجتماعات السرية في المحافل الماسونية المختلفة، وكان مؤسسو جمعية (الاتحاد والترقي) قد عقدوا اجتماعاتهم الأولى في المحفل الماسوني لإيطار، وفتحت لسفارات الأجنبية أبوابها لكل مخطط للعصيان على لسلطان، وعمل الضباط (ذوو الأصل ليهودي) من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على تخطيط الانقلاب الذي يخمور فيه السلطان، وكانت إنكلترا وفرنسا ساهبتين إلى إيواء اللاجئين من معارضي الحكم الحميدي، وتركتهم يعملون في بلاده ملنا لإسقاط السلطان

التخطيط لخلع السلطان:

آمن «هترزل» وأعوامه اليهود ألا أمل لهم في الوطن القومي بفلسطين والسلطان على عرشه، وأن خيرهم في بعثرة الملكة وتقويض أركانها، فعملوا في ميدانين ميدن خارجي بما لهم من نفوذ ومؤسسات وتحكم في الدول الأوروبية، وميدان داخلي هي تنفيذ الروح القومية لانعصالية لعناصر الملكة المختلفة من عرب وأكرد وشركس وأرنؤوط وأرمن. لبح وأحزاب وجمعيات سرية رودتها الصهيونية ب (عمانديت) حسة الظاهر ولها في كبر لأمه فعل انديناميت المنجر، حتى آنت الحركات والجهود المختلفة ثمارها، فجعل حزب الاتحاد والترقي (اليهودي الماسوني) مركز عمله سرًا في «سلاميل»، اختارها لأن فيها (عدا الجوالي لأجنبية الكبيرة)، عدا من المحافل الماسونية كانت عوب لهم على تشكيلاتهم وعلى كتمان مساعيتهم، ثم قويت حركات لمعارضين حتى صارت علنية بعد السرية. وبجاوب مع معارضي (سلانيد) الأرمن وسائر الأقليات تحت شعار «الدستور» ولما علم السلطان أن مدينة سلاميل أعلنت في يومى ٢٣ و ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨م الدستور إجابة لطلب جمعية الاتحاد والترقي، وذلك بمظاهرة صاحبة، وأن البرقيات الموجهة بصدارة من أجناد (سلاميل) ومناستير. وأسكوب. ورس) لا نوال تلح في المطالبة بإعلان الدستور وتهدد بالرحف على العاصمة، بهما كان لبحو السياسي الدور يندر بالخطر من جراء المؤامرات التي تنسها الدول الأجنبية ضد لسلطنة، أصدر إرادته بإعادة الدستور يوم ٢٤ تموز ١٩٠٨م»

أما شبان العرب فقد أهداهم التجمس القومي الذي كان الأجانب يؤثثونه من حيث لا يشعرون بهم، وكانت الإرشادات الأجنبية ومدارسها والقصصيات تنفخ في رماذ هذا الوعي =

= القومى، واغتنت المدرس الأجنبية المنتشرة فى المملكة فرصة استثنائها من رقابة الدولة فألقت فى أفئدة تلاميذها البصارى الرعب من المسلمين لتنعهم من الإمبراطورية العثمانية، ولتكتسب قلوبهم مستعينة على ذلك ببعض التآليف التى لم تتورع عن الطعن فى الإسلام وانتشهر برسوله.

فإذا علمت أن (الجامعة الإسلامية) ملهج السلطان، أدركت ما لدى جمع لدول والأقليات والأحزاب الزبيلة والمغفلين من أصحاب الطامع على هوى واحد، هو طبع السلطان عبد الحميد

كان لابد لهذه المعارضات من شعور من محببة إلى الجماهير تتمتع ورائها شار كل تخطيط يسهم فيه اليهود. كالقومية للعناصر غير التركية. (ورفع الظلم والاستبداد ورد الأمر شورى) للأتراك. فروع حزب الاتحاد والرفق شعار (الحرية والعدالة والمساواة). وأكثر من اختلاق لأخبار وإشاعات عن كثرة من أصابهم ظلم عبد الحميد ألوف يقتلى ويغرقى (فى البوسفور). وعشرات الألوف اردحمت بهم سجون المملكة، حتى اعتقد الناس من كثرة التكرار والترداد لهذه الإشاعات أنهم يعيشون فى جو خائف من إرهاب السلطان (الأحمس) كما لقبوه وآلت لأمر كما يعرف القراء انكرام - إلى أن رجعت فرقة الجيش من سالنيك ودخلت العاصمة. وأحاطت بالقصر وأبغت السلطان فرار الخلع، ولم يكن المبلغ إلا (قرة صو) عمو الحزب (اليهودى الأصل)!

ولم يكر سبب خلع السلطان عبد الحميد بحاجة لهذا لإبلاغ. إذ كان موقفا أنه دفع ثمن رفضه إنشاء الوطن اليهودى فى فلسطين كما ستعلم من الوثيقة بعد قليل

بعد الخلع:

أعلنت الأفراح فى الأنحاء القريبة والبعيدة من المملكة العثمانية بخلع السلطان. وتيدى (المطبلون) فى ذم السلطان وتسويد صحيفته، واحتلاق الظلم وانرم من الأخبار عن ظلمه واستبداده وبطشه وسفكه لدماء وسجده الأبرياء الأحرار. كما تيدروا فى الإشادة بالصباط الأحرار ضبط الانقلاب، وبالحرب الحاكم (الاتحاد والترقى). ثم شطت الأحزاب التى لم تحف تطرفها فى عصبيتها التركية تعرض نظريتها فى تحريك العاصر كلها وبعق للسلطان تاريخ درس فى المدارس والجامعات، وحفظنا - فى طمولنا من مساوى لسلطان =

= ما شحنوا به الكتب المدرسية والصحف والمجلات، وخلاصة ذلك كله كما زعموا حينئذ أن حزب الاتحاد والترقي أعد إبلاذ من الظلم والاستبداد والإرهاب، وأن الذي حفرهم على الثورة، عادة (الحرية والعدالة والمساواة) ونشرها بين الناس، ثم أظهر الزمان رعب ذلك كله، وأن هذا الحزب لتقدمي كان لمتفجرة التي أطاحت بالمملكة كلها فبعثرتها أهاديد

ولم يطل الزمن بالناس حتى حلت كثرة فلسطين، وتكشفت الحوادث لذوى البصائر عن الحقيقة الصارخة المؤلمة كان اليهود وراء كل حرب وكل دعوة عنصرية في الإمبراطورية العثمانية، ولو سمح السلطان للوطن القومي لليهودى لبقى الحكم حكمه إلى أن يأتبه نجله، ولم تكن تلك الأحزاب والعصريات إلا من ابوسائل للقضاء على الدولة ومهيد الأمر للوطن الصهيونى. لقد نهيت المعلومات التي لقننا إياها مر عبد الحميد وحزب الاتحاد والترقي معلفونا المخدرون بالندعية الإعلامية لحزبية أيام الاتحاديين أدراج لرياح، واستبدنا بها لحقيقة امائلة عارية محموسة لكل ذى عيبر، أدركناها الآن وكأن عبد الحميد يراها رأى لعين قبر ٦٠ سنة، ولكنه لم يجد من يفهم عنه كما سيتضح لك ذلك من رسالته

لقد كان عرشه فريسة الصهيونية المدمرة لمخرية فكان الضحية الأولى في سبير فلسطين

مأثرة السلطان في حقن الدماء :

يحفظ المعروون في دمشق عن أحد باشوب الدولة العثمانية المرحوم (راهد باشا الهبل) وكان يروي له جلسائه آخر مأتى السلطان في قصره يوم الحنع قال

لما اضطربت الحوادث وتمردت فرقة (سلانيك)، أخبر الصدر الأعظم سلطانه ببعضين جيش سلانيك فقال لسلطان، (طيب) ولم يرد عليها، ثم أخبره باتجاه العصاة نحو العاصمة (استنبول) فقال (طيب) وم يأمر بشي. ثم أخبره بدخولهم العاصمة، ثم باتجاههم نحو قصره، ثم يحصارهم القصر، في كل ذلك يقول (طيب) ولا يريد عليها وكان الصدر الأعظم شديد لهيبة للسلطان ثم دخل امر العوى في لقصر يستأذن السلطان بضرب العصاة والمقاومة، فصعته، ثم عوده القول يريدون إده بالمقاومة فقال لهم

«أعرف جيدا أن كل ما يرومون هو خنمى أو قتلى، وأنا شحص واحد، فإذا أمرتكم بالمقاومة سقط مئات انقتلى منكم، وأنتم جميعا أفراد من هذه الأمة، ولأمة متحتاج إليكم هها يزل بها من شدائد».

= ثم دخل العصابة ولم يقوهم أحد، وأبلغوا اسلطان قرار الحرب خلعه ونقلوه إلى قصر في سلاويك بعيداً يقيم فيه حتى الممات الوثيقة وقصتها :

في زاوية الشاذلية في حي القنوات بدمشق، يرقد تحت قبة عالية الشيخ محمود أبو الشامات، شيخ الطريقة لشاذلية الشرطية، وأول خبيعة لصاحب الطريقة الشيخ علي الشرطي المشهور أسسها في مدينة عكا

كان لشيخ أبو الشامات جميل لصورة، حسن السمات، مهيباً، حلوه البشرة، مديفاً محاضراً، اللباس - ولعوم منهم خصة - عقيدة فيه صابحة. يقيم الحصرة (مجلس الذكر) كل ليلة جمعة في زاويته الفخمة.

من مريدي الشيخ (راعب رضا بك) مدير القصر السلطاني أيام لسلطان عبد الحميد، وكلمه رار الشيخ (استانيول) نزل عند مريده مدير القصر، والظاهر أن السلطان الذي لا تخفى عليه حافية من شئون حاشيته، اطع على الأمر، فسان مدير قصره عمر يكون ضيفه، فأخبره أنه شيخه في الطريق ووصف له من حانه ما ملأ سمع السلطان وأهجه لاستراته، فلما جتمع به ملأ عينه وقببه. وطلب منه الطريق فلباه، وأصبح المصطفى من تلاميذ الشيخ في الشاذلية وأورادها وأدكرها، وقد عرفت أن الشيخ حسن المحاضرة من أمراء المجاس، تتقبله القلوب، فتعلق به السلطان، كما أخذ عنه لطريق جملة من وجهاء (استانيول) وموظفي لقصر السلطاني وجنوده وحراسه، فلما خضع السلطان ووضع في قصر في (سلاويك) كان من الحراس ابدین أقيموا عليه، أحد تلاميذ الشيخ أبي الشامات، وعن طريقه تتم المواصلات لسرية الكتابية بين الشيخ والسلطان اسفلتوم، وحفظ الرمان ما هذه الرسالة التي أرسلها السلطان إلى الشيخ وفيها البيار الصريح عن سر خلعه كشفه لشيخه

احتفظ شيخ بهذه الرسالة سرا مكنوناً طول عهد الاتحاديين، حتى إذا زال الحكم التركي عن سورية أطلع عليها بعض حلفائه، ثم حافظ عليها بعد وفاته أهدؤهم من بعده إذ كست من أناس التحف التي يحرس عليها الحريصون، لا يطلعون عليها إلا اللغات من أهل ودهم، حتى إذا قدم العهد وظهر عليها أثر لا يام ضوا بها علي الجميع، وقد سعى بعض وجهاء دمشق من أصدقاء أبناء الشيخ حتى أقنعهم باطلاعي عليها، إذ لا يجوز كتمان أمره الآن، حتى لا يضيع الحق، وحتى يصحح كثير من الباحثين والعلماء خطأ، ورويتهم فيه =

« الدعايات الباطلة، قلبى الورثة الطلب مشكورين، وأعارونيها فى مطلع هذا العام ٧٢ ريثما صورتها ورددتها لهم

أما الترجمة العربية للرسالة فقد قام بها صديق لهم من أهل العلم يتقن اللغتين العربية والتركية وكتبها لهم بخطه العارسى الجميل المعروف، وهم يحتفظون بالترجمة حتفاظهم بالأصل التركى، ولا تنسى ما قدمت لك من أن رساله موجهة من السلطان المريد، إلى شيخه فى الطريق، فلابد إذا من اعلمانية على الترم الأذكار الشاذلية والتزام التقاليد فى مخاطبة الشيخ، واليك الرسالة المترجمة.

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل السلام، وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين

أرفع عريضتى هذه إلى شيخ الطريقة نعلية شاذلية، إلى مفيض لروح والحياء، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود ألسدى أبى الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة بعد تقديم احترامى أعرض أننى تلقيت كتبكم المؤرخ فى ٢٢ مارس فى السنة لحابية، وحمدت المؤتى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين

سبدي

إسى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، وأعرض أنسى مارست محدثاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة

بعد هذه المقدمة أعرض برشدتكم وإلى أمثالكم، أصحاب السحابة والعقوب السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة التاريخ :

إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنسى - بسبب امضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم - اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة

من هؤلاء الاتحاديين قد أصرو وأصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى لأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً =

= وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آهائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً.»

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وبلموني أنهم سيعيدونني إلى (سلاتيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير

هذا وحيدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن أُلطخ الدوبة العثمانية. وعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضي لقدسة، فلسطين، وقد كان بعد ذلك ما كان، ولد، فإني أكرر الحمد والشكر على الله لمتعال وأعتقد أن ما عرضته كاف فى هذا الموضوع الهام، وبه أختتم رسالتي هذه

أتم يديكم بالبركات، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى بسلامى إلى جميع الإخوان والأصدقاء

يا أستاذى المعظم

لقد أطلت عليكم النحية، ولكن دفعنى لهذه الإطالة أن تحيط سماحكم علماً وتحيط جماعتكم بذلك عبثاً أيضاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

ما أظن هذه الوثيقة التاريخية بحاجة إلى تعليق، فليس بعد بيان السلطان نفسه عما جرى له بيان، ولا بعد هذه الصراحة بوقاحة اليهود وعملائهم (لاتحاديين) صراحة، وبحر الدين يعيش فى سنة ١٩٧٢ م. بعد أن رأينا لتتابع الأحداث منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ م وما لحقه. صحيحاً كثير من نظراتنا السابقة إلى الحلفاء ومواعيدهم، وأسمنا بأثر اليهود فى الحوادث لعالمية إلما نظرياً، وصرح برتاب بل بحاف أشد لخوف كلف رفع حرب شعارات بعشقتها، بعد أن علمت عم اليمين ما كان وراء شعارات (الحرية والعدالة والمساواة) التى رفعها حرب الاتحاد والترقي من استعباد واضطهاد وظلم وتفریق وإراقة دماء وشق ضحايا. لقد كان (لاتحاد) الذى سعى به الحرب نفسه تشقيلاً للأمة الواحدة، وتضييق =

لقد عرض على السلطان عبد الحميد رحمه الله مبالغ ضخمة عشرات الملايين للدولة العثمانية، وعشرات الملايين لنفسه شخصياً ليمسح بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فأبى السلطان إباء المسلم المؤمن، وكما أُلحوا عليه وأكثروا من الأرقام المالية التي تدفع كلما كان إيمانه بربه أكبر، ومنذ ذلك الزمن وضع التخطيط لهدم الخلافة، أما الأداة المنفذة في كثير من الخطة فهي أتاتورك.

= بين عناصرها، وإضاعه لبعض بلادها، وكان (اسرقى) انحدارا إلى الهاوية حيث لفظت الملكة عندها نفسها الأخير
الهدف من الرسالة :

سؤال - بعد ما تقدم ما أرب السلطان من عرضه على (أصحاب السجدة والعقول السليمة) هذه (لمسألة الهامة) وجعلها في ذمة التاريخ ؟
إسا إذا ذكرنا أن السلطان بشهادة خصومه وشهادة المسلمين الأجانب كان من الدهاة أصحاب الأناة والتدبير، عرفنا بأنفسنا الجواب. لقد أراد أن يرمى عصفورين - كما يقولون - بحجر واحد وذلك أنه باستشرته العلماء والمشايخ ودوى العقول السليمة يكون قد حرك جهازا له حصره البلع في تلك الأيام فيثير أولئك - في حطب المسجد ومجاس الوعظ وحلقات المشايخ الجماهير وقديسة (فلسطين) حساسة جداً يوم كان للدين حكمه انذود على لقلوب، فبعى لشعب ويغلى ويثور، فتبوءت فكرة الوطن القومي في مهدا بعد تنبيه الجماهير له. ويزاح والانقلابيون بأهور السبل يعد حصول هذه لقوعية وخاصة في العاصمة والأناضول، وبدأ ينفذ السلطان فلسطين، ويقضى على لانقلابيين، إذ كان الجيش لذي ساقوه فقام بالانقلاب وهووه إنما يحاربون به الاستبداد اسحميدى سيصبح بعد قوميتة، وتنبيهه للغرض الحقيقي، وطلاعه على هوية (الاتحاديين) منقبا عليهم لا يرضى بون تعيقهم على المشاق لقاء خدعهم ومضليلتهم له

تكر الشيخ أبا السمات وجماعته وأصحاب السجدة لم يكونوا من الوعي والشعور بالصحيح العليق للأمة بحيث ظن السلطان. نعم، إسي أعلم أن حركات مصادة للاتحاديين قد بدأت تدر فروعها، وأن (الجمعية المحمدية) التي صار لها فروع في بعض الأمصار طابعت متحمسة بإلغاء الدستور والرجوع إلى الشرع لإسلامي، لكن لم يكن بأكثر من فورة حماسة لم تلبث أن انطفأت بالإرهاب لأحمر الذي حكم به الاتحاديون، إذ لم يحسن القائمون بها والداعون لها تخطيطها ولا تعميمها، ولم يكن وعى الشعب يومئذ كافياً ليدرك مصالحه، وكان (اسطهلون) للاتحاديين من المنافقين المرتقة أكثر من أولئك بكثير

ماذا فعل أتاتورك، وماذا كان موقف المسلمين منه؟

لقد أقامت الدعاية لمصطفى كمال العالم الإسلامي للعطف عليه، وأعلنت أنه مسلم يعمل لنهضة الإسلام وتثبيت لإيمان ولما استتب له الأمر أبان عن نواياه الشيطانية، فأزال الخلافة - وإزالة الخلافة أمر في غاية الضرر بالنسبة لتركيا، فقد نزل بها أولا من دولة في الدرجة الأولى يخشى حسابها إلى دولة في الدرجة الثالثة أو الرابعة أو لعاشرة ونزل بها ثانيا من دولة تتزعم العالم الإسلامي، تأمر فيستجيب، إلى دولة لا دينية، وفقدت تركيا بذلك الزعامة.

ثم أخذ أتاتورك يصرب بمعاولة في وجه التشريع الإسلامي، وفي رأسه، وفي جسمه، فأراد القانون الإسلامي، وأحل محله القانون الوضعي حتى الأحوال الشخصية أفسدها إفساداً، يغضب الله ورسوله، فأبح رواح المسلمة بالمسيحي، ووصل به الأمر إلى أن كان يضرب بالرصاص من لبس الزى الإسلامي، وأعلن لا دينية لدولة التركية، وفصلها عن ماضيها. وجعلها بكر ذلك دولة لا في العير ولا في النفير، وحينما يكتب التاريخ الإسلامي على حقيقته سيرى الناس أن أتاتورك كان من المفسدين.

أما اللغة العربية فكان بينه وبينها ثارا لقد غير الحروف العربية، وكتب التركية بالحروف اللاتينية، فأزال بذلك ما كان بين اللغة العربية واللغة التركية في ناحية الكتابة، ثم قام مما سماه تصفية اللغة التركية فأزال منها الكلمات الكثيرة العربية التي كانت بها، وباعد بذلك بين اللغتين في ناحية الموضوع

وحينما حدث هذا في تركيا:

تطلعت العيون إلى الأزهر إذ لابد للناس من أب روحى.

ونظروا إلى شيخ الأزهر على أنه شيخ الإسلام، وكان شيخ الأزهر في المستوى المأمول فيه : عالماً كأحسن ما يكون العلماء، زاهداً إيجابياً كأفضل ما يكون الزهاد الإيجابيون، مؤمناً بالله، واثقاً فيه.

إنه يشهد أن لا إله إلا الله، يشهد بها بحقها ويرتفع إلى المستوى اللائق بالأب الروحي.

واحتلت مصر منذ ذلك الحين مركز الزعامة الدينية في العالم الإسلامي، احتلت مركز الزعامة بسبب الأزهر الموجود فيها ولواقع أن الأزهر مكث ألف عام يقوم على الحفاظ على اللغة العربية، وعلى الدين الإسلامي.

وحفظ اللغة العربية بهذا البحث الدائب الدائم في اللغة العربية، ووقف في وجه كل النزعات التي أرادت بها شرٌ إنه وقف في وجه الدعوة يا للسخافة - إلى العامية.

ووقف في وجه الدعوة الملحدة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية إن طائفة من المنحرفين أرادت أن تغير الحروف العربية لتفصل الكتابة عن ماض من التراث عميق، والله يعلم أنها ما أرادت إلا الإفساد.

وبدأ بهذا الانحراف أتاتورك. وكان في أساس هذه الحركة كل أعداء الإسلام، ثم أخذت بعض الدول مستجيبة إلى مخطط الاستعماريين والملاحدة والمنحرفين على أي وضع تغير الحروف بالفعل، والبعض الآخر يفكر في تغييره

وانني أعلن هنا في غير لبس ولا غموض أن كل دولة فعلت هذا إنما فعلت ما يعضب الله ورسوله بل ما يمقته الله ورسوله، وأن الذي يبوء بالإثم إنما هم المنفذون والراضون بالتنفيذ وأنه يجب وجوب ديني أن يثور

المؤمنون ضد هذا ويمارضوه، وكما أمكن التغيير إلى الحروف اللاتينية فإنه يمكن - وبصورة أسهل - التغيير إلى الحروف العربية

وقام لأزهر طيلة قرون على الحفاظ على العقيدة الإسلامية، ووقف في وجه كل انحراف في العقيدة أت من الشرق أو من الغرب.

ووقف في وجه هذا الغزو الفكري الآتى من الشرق ومن الغرب

إن للأمة الإسلامية رسالة هي رسالة الله إلى العالم. آخر الرسائل، طبعها الرحمة لكل عوالم الله في الأرض وفي السماء، ومن مبادئها العلم وتركية النفس:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١)

وهذه لرسالة نقية صافية - هي المبرر لوجود الأمة الإسلامية فإذا ما نجح الغزو الفكري في الخروج بهذه الرسالة عن طابعها الرباني فإنه لا يوجد ما يبرر وجود أمة الإسلام

ولقد قام الأزهر طيلة قرون في وجه الزحف الفكري ليعلم للناس رسالة الله، آخر الرسائل، صافية نقية

ومن هنا كان المسلمون - في مشارق الأرض ومغاربها يدينون للأزهر بالفضل يدينون جميعاً له بالفضل في عقيدتهم، وتدين له الدول العربية بالفضل في الدين واللغة.

وكان الأزهر ومازال مقدساً عند هذه الشعوب، وإذا سار شيخ الأزهر فيها امتدت إليه الأعين، وأصغت إليه الآذان، وهفت إليه الأفئدة، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتخرجين من الأزهر، والذين يلبسون الزي الأزهرى.

(١) سورة البقرة - الآية ١٢٩

وهذه المكانة للأزهر يعترف بها المستعمرون والمبشرون، يقول أحدهم
إن العمامة البيضاء في أفريقيا أخطر علينا من القنبلة الذرية
ويقول آخر:

لا يتأتى لنا الاستقرار في هذه البلاد ما دام الأزهر موجوداً.
وتتساءل :

لماذا لم يستمر الأزهر على ما كان؟

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تكاثفت على النزول بالأزهر عن مكانته
ومن أهم هذه العوامل هذا الاستعمار وهذا التبشير وتبيين مما سبق أنه
كان لابد في نظر أعداء الإسلام من هدم الأزهر
وبدأت عوامل الهدم

بدأت السخرية بعلماء الأزهر، سواء أكان ذلك في المراحل الأولى من
التعليم أو في المراحل النهائية، أو عن المتخرجين والعلماء بدأ ذلك في
التمثيلات، وفي الأفلام، وفي الصحف، وفي المجلات.

وكان المثل الصارخ هو تلك القصة التي كتبها أحد كبار الكتاب بفرنسا
واتخذ من قسيم فيها مجالاً لسخريته وتهكمه، فإذا بالتلفزيون يخرجها
أياماً متوالية متخذاً فيها «شيخاً» مجالاً لتهكمه وسخريته، ولم يجد
المخرج أو المشرف من يقول له إن هذا انحراف، ولم يعاقبه أحد ولم
يسىء إليه إنسان

وهذه الأقلام المأجورة التي تكتب هنا وهناك عن التشكيك في الدين
وفي القيم الأخلاقية، وفي الهجوم على التشريع الإلهي^{١١} إنها لا تجد
من يقول لها إيك أقلام مأجورة، وإن أقل ما يمكن في أمثال أصحابك أن
يزجوا في السجن لتخرس منهم الألسن.

إن لكن بلد مقدسات، ومن مقدسات أمريكا مثلاً النظام الرأسمالي، ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعي، وهذه المقدسات لا تمس، أليست العقيدة من المقدسات التي لا تمس ؟

إن المنحرفين عقيدياً، والمنحرفين أخلاقياً، والمنحرفين اجتماعياً على اختلاف ألوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا في الأقطار العربية، فلا يجدون من يردعهم.

وتتكاثر الأفلام الماجورة، والأفلام المستوردة أو المنحرفة، ووسائل الإعلام في العمل على التشكيك في العقيدة والقيم الأخلاقية والتشريع الرباني، ونشر التحليل الأخلاقي بكل الطرق

وهذه الآراء المستوردة التي تتنافى مع الدين ومع الفضيلة، والتي يروجها اليهود في كل مكان هل تجد من يقف في وجهها؟

إن قراءة كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» مفيدة كل الإفادة لمعرفة المخطط الخبيث الذي يقوم بتنفيذه اليهود:

إنهم يتبنون كل فكرة منحرفة، وكل رأى ضال، ويحاولون عن طريق الصحافة والكتب والإذاعة الترويج لكل محل، وإذاعة كل فاسد

لقد تعاهدوا في موافقتهم على نشر آراء طائفة معينة من الذين اتخذوا مهنة إبليس في العمل على إفساد العالم، والترويج لها

إنهم يقولون :

نحن الذين رتبنا نجاح كارل ماركس :

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعي والرباني في الاقتصاد عن طريق المذهب الشيوعي، وهو مذهب يتنافى مع الطبيعة ومع الأديان.

وهو - من أجل معارضة الأديان له - يدعو إلى إزالة الدين، ويقول عنه .
إنه أفيون الشعوب.

ولما قيل له . ولكن لابد من بديل عن الدين لأن الناس لا يعيشون بغير
عقيدة، قال : إن البديل للدين هو المسرح، الهوهم بالمسرح، انشروا المسرح
فى كل مكان فيجد فيه الناس البديل عن الدين، ثم إن الشيوعية عقيدة
وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه
الشيوعية، وهى لا تنال من الدين بأسلوب فيه هوادة ورأفة، وإنما تنال من
الدين ومن رجال الدين بأسلوب عنيف قاس.

إنها مجارر تقام، ودماء تسفح، وسجون تملأ، وتفنن فى التعذيب،
أما الخراب فإنه ثمرة كل ذلك

وكارل ماركس يهودى

ويقول اليهود فى بروتوكولاتهم :

نحن الذين رتبنا نجاح دارون.

ودارون هو صاحب نظرية التطور أو النشوء والارتقاء، أو كما يقول
التعبير الشعبى، الإنسان أصله قرد .

وهى نظرية تتنافى مع كل الأديان التى ارتقت بالإنسان معبرة من
الحقيقة الكريمة - الإنسان أصله آدم - خلقه الله بيديه، وسواه ونفخ فيه
من روحه، وبدأ إقامته بالجنة.

وفرق هائل بين النظرتين

ونظرية دارون لم تثبت، وهى فى كل يوم تزدد ضعفاً، وتوشك الأوساط
العلمية أن تُلغظها نهائياً

إن الإنسانية متطورة فى العلوم المادية المكتسبة، وهذه حقيقة لا جدال فيها :

لقد تطورت من الإبرة إلى ماكينة الخياطة، هذه الماكينة التى تطورت هى الأخرى من حال إلى حال.

وتطورت فى وسائل طهى الطعام.

وتطورت ومازالت فى جميع أدوات الطب وآلات لهندسة.

ولكن الفكر - عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً - والذهن، والذكاء، والعقل إن كن ذلك لا تطور فيه، وأنف عن الإنسانية الحالية علومها المادية وما اكتسبته من ثقافة حسية متوالية، ومرتب بعضها على بعض، تجدها هى الإنسانية التى كانت قبل التاريخ فكراً وعقلاً وذكاء.

هذا هو الواقع، أما إذا قلت إن الإنسانية متطورة عقلاً وذكاءً وذهناً، فإنك تكون قد هدمت كل القيم الفاضلة بجرة قلم، وذلك أنه مادامت الإنسانية - فكراً وعقلاً وذكاءً وذهناً متطورة، فإن كل قيمها الفاضلة الحالية نسبية متطورة معها، فلا يتأتى الحديث عن حق فى العقيدة، أو عن حق فى الأخلاق، أو عن حق فى التشريع، أو عن حق فى نظام المجتمع، وتنهار بذلك الأخلاق والأديان، والقيم والمثل، ولا يصبح للإنسانية إلا الشهوات والغرائز.

إذا أخضعت القيم العليا للنسبية وللتطور فلا قيم، وثمره نظرية دارون أو خرافة دارون إنما هى هدم القيم العليا

ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحها

ويقول اليهود :

نحن الذين رتبنا نجاح، فرويد

وفرويد هو العالم اليهودى المزيف، ونظريته أكبر مثل على التزييف الذى يتحالف فيه المزيف مع الشيطان ليفسد الإنسانية فى النظرة إلى فضائلها ومثلها ومكارم الأخلاق فيها

إنه يعزو يا للسخافة كل عمل وكر سعى إلى باعث من الغريزة الجنسية، وليس سعى الإنسانية إلا نوعاً من إرضاء هذه الغريزة

ورتب اليهود نجاحه لينحطوا بالإنسانية من مثل عليا وقيم ومكارم أخلاق إلى غريزة هى الغريزة الجنسية

الرحمة، الرأفة، العطف على اليتيم والمسكين، الشعور بضرورة العدالة، الإنصاف، تزكية النفس، المروءة، كل ذلك - فى أساسه - إنما هو الغريزة الجنسية.

وليس بغريب أن يقول فرويد لليهودى ذلك، وليس بغريب أن يرتب اليهودى نجاحه من أجل ذلك، لأن فى ترتيب نجاحه هدم بمعاول من فولاذ لكل المثل الدينية الكريمة

ويقول اليهود نحن الذين رتب نجاح نيتشه

ونيتشه هو المنكر للأديان وللألوهية وللأخلاق، وهو يجدد دعوة أبيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع.

إنه يقول إذا كان استمتاعك فى أن تسيل الدماء أنهاراً، وأن تعشى على رهوس بنى البشر فلتفعل.

وهو الذى يقول إن ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل إنما هو ضعف فى الطبيعة

ومن سحرية المقادير أن هتلر طبق على اليهود نظريات نيتشه فأقاموا الدنيا وأقعدوها صريحاً وولولة واستغاثة، وكان ما فعله هتلر

هو نوع من ثمرة دعايتهم لبيتشه، فلقد طبق عليهم نظريات من رتبوا نجاحه.

إن اليهود رتبوا نجاح هؤلاء، ورتبوا نجاح كل مقسد، ونشروا كرم موبقة، ودعوا إلى كل انحراف، وفعلوا ذلك عن تخطيط، هو إفساد الإنسانية ليسودوا من وراء ذلك، ويتمكنوا، ويسيطروا على العالم

ووقف الأزهر في وجه كل ذلك، وقف كاطود الراسخ يدافع عن الذاتية الإسلامية، ويحاول في صمود لا يلين أن ينفي عن الذاتية الإسلامية الدخيل والغزو الفكري، وما لانت قناته يوماً ما

وكان لابد من النيل منه في أسلوب متستر، أو في أسلوب سافر - ودأب الذين استجابوا للانحراف على النيل منه مراراً وتكراراً -.

وهذا الدأب الملح جعل بعض الطيبين ينساقون عن غير شعور - إلى نقد الأزهر متسترين أو معلنين، وأصبحت مصيبة الأزهر بهم هم الآخرون كبيرة.

والذى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شخص يحاول التمس من الأزهر إنما في قلبه دغل، وفي نفسه شر سواء أكان من المنحرفين بالفعل، أو من «الطيبين المغفلين» الذين خدعهم كثرة نقد المنحرفين فصاروا وراءهم.

والذى أحب أن أقوله أيضاً إن الأزهر في محنته الحالية لا يجد من يأخذ بيده من هؤلاء المؤمنين النابهين.

وفي مصر - والحمد لله - من المؤمنين الدبهين الكثير، ولكنهم انصرفوا في إهمال غير شاعر، أو في نوع من السلوك اللاشعورى عن الأخذ بيد الأزهر والحدب عليه، وهم بذلك آثمون.

وأحب أن أعلنها سافرة وأقول إذا تكاتف المبطلون على النيل من الأزهر في الإذاعة أو في التلفزيون أو في الصحف أو في ميزانيته أو في سيره في نهضته، فإنه يجب أن يتكاتف الخيرون على أن ينصروه مجاهدين بذلك في سبيل الله، فإذا لم يفعلوا ذلك فهم آثمون: آثمون فرادى، وآثمون جماعات.

ما هو الأزهر؟..

إنه الممثل للإسلام، القائم على نشره.

إنه رمز الإسلام، فإذا أهين رمز الإسلام أو نيل منه فإنه على هؤلاء الذين يشعرون بالإسلام يملأ جوانحهم أن يهبوا مدافعين عنه، وهم بذلك إنما يدافعون عن الإسلام وينصرونه.

وهؤلاء لذين يملأ حب الوطن أفئدتهم يجب عليهم أن يأخذوا بيد الأزهر، لأنه هو الذي مكن لمصر أن تحتل مركز الزعامة بين الدول الإسلامية.

أما أبناء الأزهر فيجب عليهم أن يمثلوا الأزهر خير تمثيل: سلوكاً وعلماً، وكل من حاد من أبذ، الأزهر عن الاستقامة: سلوكاً وعلماً، فإنه في مقت الله وفي غضبه، وإثمه عند الله أكثر من إثم غيره :

يجب على أبناء الأزهر - طلاباً وأساتذة أن يمثلوا حقاً الخلافة لرسول الله ﷺ، وقد كان من شعاراته .

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١)

وكان منها

«إنما بعثت لأتعم مكارم الأخلاق»^(٢)

(١) سورة طه - الآية ١١٤ .

(٢) متفق عليه

الفصل الأول
عن والد
سیدی أحمد الدردیر

عن والد سيدى أحمد الدردير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين

إن الله سبحانه وتعالى هو الذى يهين الأسباب للالتقاء بالصالحين، وقد كان فى بلدة بنى عدى فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى رجل صالح قد أكتمل النمو والنضج، يكاد يكون مقيماً

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَعْدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

وقدر الله لكثير من الموعودين أن يروه: لقد كانوا يرونه بعيداً كل البعد عن لغو الكلام، ذلك أنه كان :

«كثير السكوت لا يتكلم إلا نادراً».

كما يصفه ابنه.

لقد كان بعيداً عن لغو الكلام، ولكنه كان ينصح ويرشد ويعلم، ذلك أنه كان عالماً، وزكاة العلم الإرشاد والنصح والتعليم.

(١) سورة النور: الآيات ٣٦ - ٣٨

ومع أنه كن قليل الكلام فإبك لا ترى سانه يفتر عن لذكر بمختلف
أنواع الذكر، فإذا أصغيت إليه في انتباه وجدته يقرأ القرآن أو يستغفر،
أو يصلى على رسول الله ﷺ.

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على من منه انشقت الأسرار،
وانفلقت الأنوار، وفيه ارتفعت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز
الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فربض
الملوك بزهر جماله موبقة، وحياض الجبروت يفيض أنواره متدفقة،
ولا شيء إلا وهو منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل - الموسط صلاة
تليق بك منك إليه كما هو أهله

اللهم الحقنى بنسبه، وحققنى بحسبه، وعرفنى إياه معرفة أسلم بها
من موارد الجهل، وأكرع بها من مورد الفضل، واحملنى على سبيله إلى
حصرتك حملاً محفوفاً بنصرتك، واقذف بى على الباطل فأدمغه، وزج بى
فى بحار الأحدية، واشلنى من أحوال التوحيد، وأغرقنى فى عين بحر
الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجدر ولا أحس بها، واجعل الحجاب
الأعظم حياة روحى، وروحه سر حقيقتى، وحقيقته عوالمى، بتحقيق الحق
الأول، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، اسمع بدائى بما سمعت به نداء
عبدك زكريا، وانصرنى بك لك، وأيدنى بك، واجمع بينى وبينك، وحل
بينى وبين غيرك).

الله الله الله، إن الذى فرض عليك القرآن لردك إلى معاد، ربنا آتنا من
لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشداً
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) صلوات الله وسلامه وتحيته ورحمته وبركاته على

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر. وعدد كلمات ربنا التامات اباركات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين..

وهذه الصيغة هي صلاة ابن مشيش قدس الله سره، وقد ربي بها ابن مشيش الكثيرين من الصالحين، وما زال رضى الله عنه يربي بها الكثيرين إنها من آثاره، والله سبحانه وتعالى يقول عن الآثار

﴿ وَنَكْثُ مَا قَدْ مَوَّأَ وَءَاثَرَهُمْ ﴾^(١)

إن الآثار يكتبها الله سيئة أو حسنة إلى يوم القيامة، ويأتى قوم أغنياء يوم القيامة فى الخير بآثارهم الحسنة، ويأتى قوم فقراء فى الخير بسبب آثارهم السيئة، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ذلك الشيخ هو الشيخ محمد الدردير والد القطب سيدى أحمد الدردير وكلمة «الدردير» إنما كانت اسماً لأحد زعماء قبيلة من العرب مشهور وردت على بنى عدى فى ليلة اتفق أن ولد فيها جد سيدى أحمد فسمى الجد باسم زعيم القبيلة، وأصبح هذا الاسم لقباً للأسرة.

وما كان الشيخ محمد فى حاجة إلى الكدح من أجل حياته، فقد يسر الله عليه أمر الحياة، بيد أنه لا بد له من عمل ينفع الناس به، وخير الناس أنفعهم للناس.

ما هو العمل، خير عمل ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ؟

(١) سورة يس، الآية ١٢.

إن التفكير في ذلك لم يطل بالنسبة للشيخ محمد، وذلك أن تخصصه المتخصص فيه إنما هو: إتقان القرآن.

ومن هنا اتخذ مهمة هي في نفسها - عبادة، وهي تعليم القرآن وتعليم القرآن لا مثيل له في:

١ - إتقان اللغة، وحسن الأسلوب، وجعل التعبير.

٢ - حس الأخلاق، فإن في القرآن القيم العليا من مكارم الأخلاق، والرسول ﷺ لم يقل: إنما بعثت للأخلاق، أو لأتمم الأخلاق. وإنما قال:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١).

ولم تكن مكارم الأخلاق قد تمت قبل بعثته ﷺ، فهو الذي تم مكارم الأخلاق: أي وصل بها إلى الذروة

إنه ﷺ وصل بها إلى الذروة عن طريق القرآن الكريم، وعن طريق تمثله للقرآن الكريم وتطبيقه له في نفسه، فتعليم القرآن الكريم إنما هو تعليم للأخلاق، بل مكارم الأخلاق، ومن أجل ذلك كن واجباً على الدول الإسلامية أن تعنى بالقرآن عناية تامة، تعنى به وطنية فإنه يعنىها أن تسود الأخلاق الكريمة في المجتمع:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وإن تعجب فعجب أمر هذه الأمم التي تزعم أنها إسلامية.

إنها تعلم علم اليقين أن القرآن يهذب النفس، ويربى الخلق، وأن ذلك من الضرورة بمكان بالنسبة للمجتمع.

(١) متفق عليه

ومع ذلك فإن وزارات «التربية» هي أكثر الدول الإسلامية، - إذا لم نقل كلها - تقف عقبة دون تعميم القرآن، وكأن بينها وبينه ثأر، وبينما تجدها تخلو مكاناً كبيراً للرقص التوقيعي وغير التوقيعي، والرسم، و فإن اهتمامها بالقرآن في غاية الفتور

ومع أن الاستعمار قد تقلص - والحمد لله - عن أراضيها، هذا الاستعمار الذي جاء ليبعدها عن القرآن - فإنها مازالت وكأن يداً خفية تحركها نحو البعد عن القرآن، نرجو الله لها الهداية، ونرجو كل من يملك من الأمر شيئاً وفي قلبه مثقال حبه من إيمان أن يتحرك ليزيل الحجب والسدود التي حجبت وزارات التربية في الأمم الإسلامية عن ترقية الأخلاق عن طريق القرآن.

إن القوانين لا تربي أخلاقاً، ومن أجل ذلك فإنه مع وجود القوانين الشديدة، فإن ابرشوة والاحتلاس والفساد في كل مرافق الدول، والتحلل الأخلاقي والانهيال في القيم، عام منتشر، لم تهذب القوانين ولم تنزله.

لا بد من تربية الشعور الأخلاقي، وتربيته لا تتأتى إلا عن طريق تعليم الدين، وأساسه القرآن الكريم.

٣ أما الأمر الثالث الذي يثمره تعليم القرآن فهو قوة العقيدة :

ولقد علم القاصي والداني الآن أن الأساس الأول لكل صلاح للفرد، ولكل استقامة للجماعة إنما هو العقيدة، والأخلاق نفسها التي تحدثنا عن أهميتها - لا تبني ولا تقوم إلا على أساس من العقيدة

والمحدد لا أخلاق له، ولا يؤتمن، ولا يوثق فيه، وهو جبان، وهو خسيس ولقد صورته الله في صور كثيرة منها

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَلَسَّخَ مِنْهَا فَتَتَّبِعُهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
الْأَرْضِ وَتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ
تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

ومن أجل كل ذلك عزم الشيخ محمد الدردير أن يعلم القرآن، وأن يذكر
لتلاميذه ما قاله القرآن عن القرآن، مثل قوله تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)
وقوله ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١٧٧﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٧٨﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣)

وقوله ﴿لَنَكُونَنَّ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالْهِ شَهِيدًا﴾^(٤)

وقوله ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿١٧٩﴾ فِي نَوْجٍ مُحْفُوظٍ﴾^(٥)

(١) سورة الأعراف: آيتان ١٧٥، ١٧٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٥.

(٣) سورة فصلت: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٩، ١٠.

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٦) سورة البروج: الآيتان ٢١، ٢٢.

وأن يذكر ما قاله الرسول ﷺ عن القرآن وعن معلم القرآن ومن ذلك ما رواه الترمذى بسنده عن الحارث الأعور قال.

«مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فقلت. يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟
قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم.

قال: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:
ألا إنها ستكون فتنة.

فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله ؟

قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصعه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو لذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تريج به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنفته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾^(١)

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال. رسول الله ﷺ .

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٢)

(١) سورة الجن الآية ١.

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال
«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما
بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة،
وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
«من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه،
لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد، ولا يجهل مع من جهل،
وفى جوفه كلام الله»^(٣).

لم يكن الشيخ محمد من المحفظين الآليين، وذلك أنه كان عالماً، وكان
علمه يضى على كتابه الكثير من الفوائد.

ولكن الشيخ محمد لم يكن عالماً فقط، وإنما كان صوفياً، وكانت صوفيته
تضى على «كتابه» الكثير من الروحانية.

ومن أجل كل ذلك كثر الإقبال على كتابه، وتخرج على يديه الكثير،
الذين منحهم الله مدداً من لدنه فأصبح سلوكهم إسلامياً

ولقد وصلت صوفية الشيخ أن كان له كرامات

ونحن نثبت هنا ما قاله سيدى أحمد الدردير عن والده هذا، وهو يوجز
ما قدمناه:

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٢) رواه مسلم وأبو داود

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

فى الشرح الصغير:

الدردير لقب اشتهر به كآبيه وجده بين الناس، وكان الوالد رحمه الله تعالى رجلاً صالحاً عالماً متقناً للقرآن.

فقد بصره فى آخر عمره فشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله تعالى، وحفظ القرآن على يده خلق كثير، وكان يعلم الفقراء حسبة لله تعالى، لا يأخذ منهم صرافة ولا غيرها، بل ربح واساهم من عنده.

وكان كثير السكوت لا يتكلم إلا نادراً.

وورده فى غالب أوقاته صلاة سيدى عبد السلام بن مشيش رضى الله تعالى عنه

وكان يبشرنى فى صغرى بأن أكون عالماً.

مات رحمه الله شهيداً بالطاعون سنة ثمان وثلاثين بعد الألف ومائة.
وعمرى نحو عشر سنوات.
وشوهدت له كرامات.

الفصل الثاني
عن حياة
سيدي أحمد الدردير

سیدی أحمد الدردیر

حياته

ولد سيدى أحمد الدردير سنة ١١٣٧ هـ، أى قبل وفاة والده بعشر سنين، ولد فى وسط جو من الصلاح والتقوى، وفى وسط جو من العلم والمعرفة.

إنه ولد فى وسط الجو القرآنى :

وكان «الكتاب» هو مركز اتجاهاته منذ بدأ يحطو، وأخذ فى بواكير حياته يسمع القرآن ويتعلمه كتابة وحفظاً، وكانت عناية والده به شديدة، وكان يرى فيه بداية عالم جليل بدأ بنيانه على أسس قوية من القرآن الكريم.

لقد غرس والده فيه مكارم الأخلاق. وسار به فى طريق الله عقيدة وسلوكاً، ولما انتقل إلى الرفيق لأعلى انتقل إليه وهو مطمئن على أن بشارته لابنه بأن يكون عالماً قد وضع أسسها قوية متينة

وأخذ أحمد يتابع الدراسة بعد وفاة أبيه إلى أن أهله «بنى عدى» ليبدأ دراسته بالأزهر الشريف، وذلك أنه أكمل حفظ القرآن، وتفنن تجويده، ولعله تعلم فى بنى عدى أيضاً «وليات بعض العلوم

جاء الفتى إلى القاهرة، ولعل أضواء القاهرة بهرت أول الأمر، ولعل شيئاً من الحيرة قد ألم به فى أول عهده بالقاهرة، ولكن النبراس الذى كان يضىء فى صدره دائماً هو بشارة والده له بأنه سيكون من العلماء.

إنه يعتقد في والده الصلاح بل واولاياه وقد كان كذلك فهذه
البشرى الصادرة منه هي بشارة حقيقية.

ودخل رحاب الأزهر بعزيمة سبقتها بشرة، دخل رحاب الأزهر وفي
نفسه إجلال له، وفي نفسه حب له.

لأزهر |

يا له من فخر أحس به الفتى في نفسه حينما رأى العلماء بسمتهم
المهيب، وصورتهم الربانية، يسرون وعلى وجوههم النور

إنهم رمز الإسلام، وهم خلفاء الرسول ﷺ في إذاعة الرسالة ونشرها
إن وظيفتهم الدعوة إلى الخير، ورسالتهم هي لأخذ بيد الناس إلى
طريق الله

واندمج الفتى في الدروس، ورأى زملاء له في قلوبهم أمل، وفي
أنفسهم رجاء، يتعلمون في جد. ويدرسون في تفاؤل.

وكان مثلهم الكريم في عهد فتانا لإمام إنما هو الشيخ شمس الدين
الحفنى^(١) شيخ الأزهر وعلم الإسلام الخفق

ولقد كان الشيخ شمس الدين الحفنى مصدر جاذبية عظمى بعدة زوايا
من شخصيته.

لقد كان حسن السمعة، أنيقاً، وكان في حديثه بارعاً مالكاً لزام
التوجيه

وكان على علم غزير في العلوم الكسبية، فهو محدث مع المحدثين،
ومنطقي مع علماء المنطق، وفقه مع الفقهاء.

(١) هو سيد العلامة الكامل والإمام الجليل الواصل شمس الدين محمد بن سالم
الحفناوى رضى الله عنه، ولد سنة ١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م ومات سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م

وهو إمام على كل حال في علوم الكتب التي تتصل بالدراسة في الأزهر.

ولكن الجاذبية الكبرى في الشيخ الحفنى كانت تتمثل في أنه شخصية تتجه بكل ما تستطيع إلى الله، لم تفتنه الدنيا، وقد كانت عند قدميه، ولم يفتنه المنصب. وقد احتل رأس المناصب الدينية

يتحدث عنه الإمام الدردير ويرسم له هذه الصورة المشرقة

«لإمام المهيب الذى كانت الملوك تخضع لهيبته، السخى الذى شهد الأعداء بهمته وسخائه، بحيث يقر كل إنسان بأن الملوك لا قدرة لهم على أن يجودوا كما كان يجود، الحسن الخلق الذى كان كل من جالسه لا يشبع من وداده حتى الحسود، الجميل الذى كان وجهه كالشمس في رابعة النهار، حتى إن كل من رآه ذكر الله لعزيز الغفار، الذى كانت العامة والخاصة يتبركون برؤيته، ويتسارعون لتقبيل راحته، الجامع بين تحقيق العلوم الظاهرية، والأسرار الإلهية. المتكلم على الحواطر كما كان يشهده من سلك على يده السنية، يربى أصحابه باللحظ والدلال. وله بينهم مهابة لا توجد في كثير من الأبطال، كما قيل

إذا ما سطا دع عنك تذكار عنتر وإن جاد لا تذكر مكارم حاتم
وإذا عدنا من كل ذلك إلى شيخنا الدردير فإننا نرى في حياته المثل الكريم لما يحبه الله ورسوله

كان عالما كأحسن ما يكون العلماء، ومربيا كأفضل ما يكون الربون

وكان شيخ الأزهر أيم الشيخ الدردير هو الشيخ الحفنى

ولقد كان الشيخ الحفنى له كلمته هنا وهناك، وهي كلمة مسموعة، وهذه المكنة لا تتوافر إذا كنت العلوم الشكلية الرسمية علوم الكتب

الدراسية هي الأساس والهدف، وإنما توافرت في الشيخ الحفنى لأنه
كن صوفيًا، مربيًا، صاحب طريقة، نه أتباع ومريدون

نقد كن حديثه مشربا بالتصوف، وكانت دروسه عليها طابع التصوف،
وكان سلوكه يتمثل فيه الإخلاص والطهر، وكان من المقربين

ولقد كان الأزهر تسوده هذه الروح روح الخلافة لرسول الله ﷺ في
القول، وروح لخلافة لرسول الله ﷺ في العمل. •

وأخذ الفتى أحمد الدردير - يدرس الحديث على يد الشيخ
شمس الدين الحفنى ، يقول الجبرتى :

«وبه تخرج في طريق القوم».

أى أن الشيخ الحفنى لم يكن مدرسًا للشيخ الدردير فحسب وإنما كان
شيخًا له في الطريق الخلوتى الذى يتخذ من القطب الكبير السيد أحمد
البدوى شيخ الطريق.

ويقول الجبرتى أيضا :

«وتلقى الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفنى. وصار من أكبر
خلفائه»

أما الفقه فقد لازم فيه الشيخ الصعيدى، يقول الجبرتى في ذلك

«وتفقه على الشيخ على الصعيدى، ولازمه في جل دروسه، حتى
أنجب وأفتى في حياة شيوخه، مع كمال الصيانة والزهد، والعفة والديانة.

ولقد حضر لفتى على هذا وذاك من علماء الأزهر، ولكن جل اعتماده
وانتسابه على الشيخين الحفنى والصعيدى.

واستمر الشيخ في الدراسة إلى أن أصبح من العلماء ابعوديين. ولقد
ألف في أكثر العلوم التى كانت تدرس آنذاك.

لقد ألف في الفقه والتفسير والتوحيد والسيرة والقراءات وآداب البحث
والبلاغة وجملة من الكتب في التصوف.

وكتبه في الفقه تدرس الآن في الأزهر، وكتابه المسمى «بإشرح الصغير»
في أربعة أجزاء كبار يدرس في لفقه المالكي على سنوات
وكتابه الجميل الصغير الحجم، السهل المأخذ، وهو «الخريدة»، يدرس
في علم الكلام

لقد أصبح فتناً شيخاً يشار إليه في العلم، وشيخاً يشار إليه في
السلوك، وكان لابد أن يحتل المكان الذي يليق به

وحينما توفي الشيخ على الصعيدى نظر الناس هذا وهناك ليجدوا من
ينصبونه مكانه فما وجدوا غير تلميذه النابه الشيخ أحمد الدردير

وعين السيد أحمد الدردير شيخاً على المالكية ومفتياً على المذهب
المالكي، وناظرًا على وقف الصاعدة، وشيخاً على طائفة الرواق

ويقول لجبرتي عندما ذكر مشيخته على طائفة الرواق :

« بل شيخاً على أهل مصر بأسرها في وقته حساً ومعنى »

ويعلل الجبرتي رأيه فيقول :

« فإنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق،

ولا يأخذه في الله لومة لائم وله في السعى على الخير يد بيضاء »

وهذا الذي ذكره الجبرتي من صفات له لم تكن غريبة في ذلك الزمن،

فإنها كانت الصفات المفهومة من معنى الخلافة لرسول الله ﷺ التي تتمثل

في العلماء، ولم يكن نادراً في العلماء هذه الصفات، لقد كانوا يأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون بهذا البدأ خير قيام، وذلك أن الله

سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ استفاضوا في الحث على القيام بهذا البدأ،

يقول تعالى :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾^(١)

وقال من جانب آخر

﴿لِئِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ
فَعْلُوهُ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢)

وكان الناس يسمعون لهم، وكان الحكام يسمعون لهم عن إيمان وتقدير،
أو عن خشية من الشعب الذي يقدسهم.

ويقول الجبرتي عن شيخنا:

«وله في السعي على الخير يد بيضاء»

وهذه الكلمة من الجبرتي في الشيخ الدردير تفسر جانباً من
أهم جوانبه، لقد أخذ السعي في الخير من نفسه مأخذاً كبيراً، فكان
يسعى في قضاء حوائج الناس بالليل والنهار، وكان يسعى بالأسباب
العديدة فكان يركب ويذهب هنا وهناك، ولهذا وذاك في قضاء
حوائج الناس.

ومن هنا كانت هذه العبارة المشهورة عند كثير من أفراد الشعب حينما
يتعذر عليهم أمر من الأمور فلا يستطيعون حله

إنهم يذهبون إلى الضريح الشريف يزورونه ويتبركون به، ثم يقولون:

يا سيدي أحمد يا دردير، اركب الحمارة، وقض العبارة

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٧٨، ٧٩

إن هذه الكلمة إنما هي صدى لما كان يقوم به في حياته من جهد مشكور في سبيل قضاء حوائج الناس.

لقد صاحبته هذه الصفة في حياته، وأضفاها عليه الناس بعد انتقاله، والله سبحانه وتعالى يقول عن أوليائه :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ولم يحدد سبحانه ذلك برمن أو مكان، ولا بحياة أو موت ولقد أضفاها الناس عليه عن تجربة :

وأحب هنا أن أنقل ما كتبه صاحب «جامع الكرامات» عنه، إنه يقول:

«الشيخ أحمد الدردير الدلكي الخلوتي المصري، أحد الأئمة من أولياء الله العارفين، والعلماء العاملين، وشهرته بكثرة العلم والعمل، والولاية والإرشاد وكثرة المناقب والقصائل على تعدد أنواعها تغنى عن إطالة بشرح حاله، فهو شمس العرفان، وعارف الزمان، المجمع عند المسلمين كافة على اختلاف المذاهب والمشارب على جلالة قدره وولايته، وإرشاده واتسع علمه، وعموم نفعه في سائر بلاد المسلمين، ذكره شيخنا الشيخ حسن العدوي في كتابه (النفحات الشاذلية)، في شرح البردة البوصيرية، فمما قاله أن شيخه الشيخ محمد السباعي كن يبشره بالفتح، وتكرر منه مراراً في أيام متعددة قوله له :

والله أو وعزة ربي إلك لمحبوب الدردير. قال

(١) سورة الزمر، الآيتان ٣٣، ٣٤

فتعلقت آمالي بحبة هتيك الأعدب، وأكثر زيارته، أي الدردير،
والتوسل به إلى رب الأرباب، وقد جددت الطريق الخلوتية عن أستاذي
الشيخ السباعي المذكور وهو قد أخذها عن والده وأستاذه الولي الشهير الشيخ
صالح السباعي، وهو عن القطب الدردير.

ثم بعد انتقاله جددت لعهد عن شيخى وأستاذي سيد أهل عصره الإمام
الأوحد العرف بالله تعالى الشيخ محمد فتح الله، وهو عن العارف الكبير
والولي الشهير لشيخ أحمد الصاوي، وهو عن القطب الدردير

قال ومن غريب ما اتفق لي مما يؤيد التبشير السابق أنه قد حصل معي
أمر يتعلق بالحكومة المصرية، وخافت على الأحبة والإخوان، فبعد توسلي
بهذا القطب الشهير وهو سيدى أحمد الدردير، رأيت أني في قصر منفرد
مغلق الأبواب، ممتلئ من الحيات الكبار والأفاعى وصغار الثعابين،
فتجاسرت على قتل الصغر ثم تفكرت في نفسي فوجدت أني لا أستطيع
الصبر في ذلك المكان لحظة خوفاً من الكبار، ولم أجد مساعاً إلى الخروج
بفلق الأبواب جميعها، فإذا بشباك مفتوح في أعلى القصر، فنظرت فرأيت
قصرًا آخر مقبلاً للقصر الذى أنا فيه يسمى قصر الأمان، فتحيرت في
الوصول إليه لبعد المسافة التى بينه وبين الذى أنا فيه، وإذا بجوهرة يتلألأ
نورها في جو السماء إلى الأرض، فخطمتنى بقورها. أب روح الدردير. افتح
فمك حتى أدخل جوفك، أو حتى أمتزج بلحمك ودمك، ففتحت فمي
فدخلت فيه، فوجدت قوة عظيمة جداً وقلت في نفسي سر كيف شئت
حينئذ، ووضعت إحدى رجلى في الهواء والأخرى في قصر الأمان قائلاً
بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع
العليم، وستقررت في قصر الأمان، وانتبهت، فانصرف عني ما أجد
وحصل لي النصر التام، وإنما ذكرت ذلك تحدثاً بنعم الرحمن، وترغيباً
للإخوان في التوسل في مهماتهم بهذا الإمام رضى الله عنه ورضاه. وأمدنا

بمدده ونظمنا في سلك أهل مودته بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغفلون».

انتهى كلام شيخنا العدوى رحمه الله تعالى، وكانت وفاة سيدى الشيخ أحمد الدردير سنة ١٢٠١ هـ في مصر، وقبره فيها مشهور يزار ويتبرك به رضى الله عنه ونفعنا ببركاته.. اهـ

والواقع أنه مادمنا نؤمن بقوله تعالى فيما يتصل بمريم عليها السلام ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَسَدٌ عِنْدَهَا رِيقًا قَالَ يَنْمَرَيْتُمْ أَكُنِي لَيْ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ^(١)﴾ ما دمننا نؤمن بهذا، ونؤمن بقوله تعالى :

﴿لَهُمْ مٌ يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ^(٢)﴾

فلا معنى لأن نمرى هي الكرامات بصفة عامة

أما أن نجادل في هذه الكرامة بالذات أو تلك بالذات فهذا لا قيمة له إذا آمننا بالمبدأ العام

ولا مناص من الإيمان بالمبدأ العام مبدأ الكرامة ما دمننا نؤمن بالمعجزة .

والإيمان بالمعجزات جزء من الإيمان يختل الإيمان باختلاله ورضى الله عن أبى البركات.

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧

(٢) سورة الزمر: الآية ٣٤

ونحب بعد هذا أن نقل هنا ما كتبه الجبرتي عن إمامنا رضي الله عنه :

يقول الجبرتي :

توفى الإمام العالم العلامة أُوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية ، شيخ الإسلام ، وبركة الأنام ، الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن حامد العدوي المالكي لأزهري الخلوتي الشهير بالدردير

ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه ستة سبع وعشرين ومائة وألف . وحفظ القرآن وجوده ، وحبب إليه طلب العلم فورد الجامع الأزهر ، وحضر دروس العلماء ، وسمع الأولية عن الشيخ محمد الدفري بشرطه ، والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ ، وشمس الدين الحنفى . وبه تخرج في طريق القوم ، وتفقه على الشيخ على الصعیدی . ولازمه في جل دروسه حتى أنجب ، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحنفى ، وصار من أكبر خلفائه كما تقدم ، وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد ، والعفة والديانة

وحصر بعض دروس الشيخ الملوى والشيخ الجوهري وغيرهما ، ولكن جل اعتماده وانتسبه على الشياحين الحنفى والصعیدی

وكان سليم الباطن ، مهذب النفس ، كريم الأخلاق ، وذكر لنا عن لقبه أن قبيلة من العرب نزلت ببلده ، كبيرهم يدعى بهذا للقب ، فولد جده عند ذلك ، فلقب بلقبه تفاؤلاً لشهرته

وله مؤلفات منها :

١ - شرح مختصر خليل . أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني ، واقتصر فيه على الراجح من الأقوال .

٢ - ومتن في فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك .

٣ - ورسالة في متشابهات القرآن .

- ٤ - ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها
- ٥ - وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في لتصوف
- ٦ - رسالة على وارد الشيخ كريم الدين والخلوتى
- ٧ - وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكرى
- ٨ - رسالة في المعانى والبيان.
- ٩ - رسالة أورد فيها طريق حفص.
- ١٠ - رسالة في المولد الشريف
- ١١ - رسالة في شرح قول الوفائية. يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم يا على يا مكين.
- ١٢ - شرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام (الأصل للشيخ البيلى)
- ١٣ - وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرdash
- ١٤ - رسالة في الاستعارات الثلاث.
- ١٥ - وشرح على آداب البحث.
- ١٦ - رسالة وشرح صلاة السيد أحمد البدوى.
- ١٧ - وشرح على الشمائل لم يكمل.
- ١٨ - رسالة في صلوات شريفة اسمها لورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق
- ١٩ - التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى.
- ٢٠ - مجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ
- ٢١ - رسالة جعلها شرحا على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندى المعروف بطررزاده في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ

نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ عَامَّتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرٌ ﴿١١﴾

وله غير ذلك

ومما سمعت من إنشاده :

من عاشر الأسام فليلرم سماحة النفس وذكر اللجاج

وليحفظ المعوج من خلقهم أى طريق ليس فيه أعوجاج

ولما توفي الشيخ على الصعيدي تعين المترجم عنه شيخا على المالكية، ومفتيا وناظرا على وقف الصاعدة وشيخا على طائفة الرواق، وشيخا على أهل مصر بأسرها في وقته حسا ومعنى، فإنه كان رضى الله عنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله في السعى على الخير يد بيضاء.

تعلل أياما ولزم لفراش مدة حتى توفي سادس شهر ربيع الأول من هذه السنة (١٢٠١ هـ) وصلى عليه بالأزهر بعشده عظيم حافل، ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدى يحيى بن عقبة، وعندما أسسها أرسل إلى وطلب منى أن أحرر له حائط المحراب على القبلة، فكان كذلك وسبب إنشائه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب - كان له صلات يرسلها لعلماء الأهر وخدمة الأضرحة وأهل الحرمين في بعض السنين، وتكرر منه ذلك فأرسل على عادته في سنة ١١٩٨ هـ مبلغا للشيخ وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد اسبح وأقام بمصر مدة حتى نفذ ما عنده من النفقات، فلما وصلت تلك لصلة أراد أخذها ممن هي في يده فامتنع عليه وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات، وذهبوا إلى الشيخ بحصته، فسأل عن قضية ابن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده وأنه لم يتمكن من ذلك، فقال .

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨

والله هذا لا يجوز، وكيف أننا نتفكه في حال الرجل ونحن أجانب،
وولده يتلظى من لعدم؟ هو أول وأحق، اعطوه قسمي، فأعطاه ذلك

ولما رجع رسول أبيه وأخبر السلطان والده بما فعل فيه الشيخ الدردير
شكره على فعله، وأثنى عليه، واعتقد صلاحه، وأرسل له في ثاني عام
عشرة أمثال الصلة المتقدمة مجازاة للحسنة، فقبلها الأستاذ وحج منها،
ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية معا بقي، ودفن بها، رحمه الله، فإنه
لم يخلف بعده مثله اهـ

وبعد :

فإن الإمام الدردير لو بقي على علوم الكتب فإنه ما كان يزيد على هذا
أو ذاك ممن كان في عهده أو من سبقه، أو أتى بعده ممن طوهم الزمن
دون أن يخلدهم التاريخ، ولكن أساس الخلود في أمر الشيخ الدردير إنما
هي هذه الروح التي بثها في الأتباع وللمريدين، ولتي مزال يبحثها في
أتباعه ومريديه.

إنها الروح الصوفية والشعور الصوفي والطريقة الصوفية التي مثلها
ومارال يمثلها إلى الآن والتي سيستمر يمثلها ما بقيت السماء والأرض روح
الإخلاص، روح إياك نعبد وإياك نستعين، روح الربانية
وإذا أردنا إذن - أن نلتصص شخصية الإمام الدردير الحقيقية فإننا
نلتصصها في صوفية.

وهي صوفية متناسقة مع المحيط العام الصوفي، ولكن الذي يعطيها
مكانتها النفسية أنها تابعة عن شيخ علماء المالكية، وعن مفتي المالكية
العالم القعة السيد أحمد الدردير

الفصل الثالث
الاتباع والأسوة

وقبل أن نبدأ الحديث عن الإمام الدردير الصوفى، نضع أمام القارئ صورة مجملة غاية فى الإيجاز، عن الإمام الدردير، العالم المؤمن، المتبع المتأسى برسول الله ﷺ، إنها صورة عامة عن الأسس التى يقوم عليها دينه وإيمانه، وهى صورة عامة عن المبادئ التى التزمها فى حياته، وهى شعار المؤمن الصادق، وهى منهج أهل اليمين

نذكرها هنا ليعلم القريب والبعيد أن إمامنا يصدر فى تصوفه عن الكتاب والسنة ويسير فى حياته فى جو من النور لإيماني الصافي

ذكرها إمامنا فى نهاية كتابه «قرب المسالك إلى مذهب لإمام مالك»، وهو كتاب فى الأحكام الشرعية فى جو مذهب إمام أهل السنة الإمام مالك، ووضعها فى هذا المكان له دلالة الخاصة.

إنه بعد أن أبان عن الأحكام الشرعية أوجز مبادئه فى كلمات محدودة، وكأنه يقول إن دراسته للشريعة كانت ثمرتها هذه الكلمات التى تتحدث عن شعار كل مسلم، إنه يقول:

خاتمة

كل كائنة فى الوجود هى بقدرة الله تعالى وإرادته على وفق علمه القديم، ولا تأثير لشيء، ولا فعل غير الله تعالى

وكل بركة فى السماوات ولأرض هى من بركات نبيا محمد ﷺ الذى هو أفضل الخلق على الإطلاق

ونوره ﷺ أصل الأنوار

والعلم بالله تعالى وبرسله وشرعه أفضل الأعمال

وأقرب العلماء إلى الله تعالى وأولاهم به أكثرهم له خشية، وفيما عنده رغبة، الوقف على حدود الله تعالى من الأوامر والنواهي، المراقب له فى جميع أحواله:

﴿ إِنُّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ﴾^(١)

واعلم أن الدنيا دار معر : لا دار مقر.

وأن مردنا إلى الله.

وأن المصرفين هم أصحاب النار.

فينبني للعاقل أن يتجافى عن دار الغرور، بترك الشهوات والفتور،
ويقتصر على الضروريات، تاركاً لفضول المباحات، شاكراً، ذاكراً، صابراً،
مسلاً لله تعالى أمره.

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ ﴾^(٢)

والنية الحسنة روح العمل، ولربما قلبت المعصية طاعة.

وكثرة ذكر الله تعالى موجبة لنور البصيرة، وأفضله

« لا إله إلا الله »

فعلى العاقل الإكثار من ذكرها حتى تمتزج بدمه ولحمه. فيتنوع من
مجمال نورها عند امتزاجها بالروح والبدن جميع أنواع الأذكار الظاهرية
والباطنية التي منها.

١ - التفكير في دقائق الحكم المنتجة لدقائق الأسرار.

٢ - ومنها التفكير في دقائق الكتاب والسنة الموصل لمعرفة الأحكام
الشرعية.

٣ - ومنها مراقبة الله عند كل شيء، حتى لا يستطيع أن يفعل المبهى عنه.

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣

(٢) سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣.

٤- ومنها طمأنينة القلب بكل ما وقع في العالم من غير نزاع
ولا اعتراض، فيتم له التسليم للعليم الحكيم

٥ ومنها وفور محبة الله تعالى حتى تميل إلى عالم الغيب والقدس أكثر
من ميلها إلى عالم الشهادة والحس، فتشتاق إلى لقاء بارئها أكثر من
شتياقها لأهلها وأبيها، فإذا تم أجلها جازاها ربها بالقبول وحسن
الختام، وهيالها دار السلام، وناداهها ربها.

﴿يَتَيَسَّرُ لِنَفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ۖ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ﴾^(١)
﴿وَدَخُلِي فِي عِبَادِي ۖ﴾^(٢) ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ ۖ﴾^(٣) دار السلام بسلام
﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَجِئْتُهُمْ فِيهَا سَلَامًا وَهُمْ خِزْرٌ
دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾^(٤)

ولقد درس الإمام الدردير السيرة النبوية الشريفة، فكتب في استفاضة
عن الإسراء والمعراج وذلك في الحاشية التي كتبها على قصة المعراج
للعلامة نجم الدين الغيطي، وهو في شرحه لهذه القصة وتعليقه عليها،
يكتب في استقلال يتبع فيه النصوص والوثائق ومن أجل ذلك كان يوافق
أحياناً العلامة نجم الدين في رأيه ويخالفه أحياناً أخرى مؤسساً بخالفة
على ما يثبت لديه من النصوص، والإمام الدردير بدراسته للسيرة النبوية
إنما كان من أجل الفاس برسول الله ﷺ اتباعاً لقوله تعالى .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾^(٥)

(١) سورة الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

ولقد كتب أيضا رسالة عن مولد الرسول ﷺ ننقل منها ما يلي إنه يهدوها بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجب الوجود، الواسع الكرم والجود، المنزه عن الوالد والمولود، الذي بعث فينا نبيه وحبيه محمدا ﷺ بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات، فأظهر به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم، وخصه، بالشفعة العظمى، والمقام الأسنى، وأخذ على أنبيائه الموثيق والعهود، لئن جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه حتى يبلغ رسالة ملك المعبود، فلما أقرؤا بذلك قال اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فدل ذلك على أنه أفضل خلق الله، وأشرف رسل الله، من أحبه أحبه الله، ومن عصاه فقد عصى الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١)، وقال ﷺ: «أنا حبيب الله، والمصلى على حبيبي، فمن أراد أن يكون حبيبًا للحبيب، فيكثر من الصلاة على الحبيب» (٢) ويكفي العاقل اللبيب، والحاذق النجيب، في بيان عظم هذا النبي الكريم، وبيان قدر الصلاة عليه والتسليم، قول الله العلي العظيم ﴿ إِنْ أَلَّهَ وَمَلَّيْكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى السَّبِيِّ يَتَّيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣).

ولقد أحسن من قال شعرا :

فأنت رسول الله أعظم كائن وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

(١) آل عمران، الآية ٣١

(٢) متفق عليه

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦

صيك مدار الخلق إذ أنت قطيبه	وأنت منار الحق تعلو وتعديل
فؤادك بهت الله دار علومه	وباب عليه منه للحق يدخل
يدابيع علم الله منه تفجرت	ففى كل حى منه لله منهل
منحت بفيض الفضل كل مفضل	فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الأنبياء فتاجهم	لديك بأنواع الكمال يكمل
فيما مدة الإمداد نقطة خطه	ويانروة الإطلاق إذ يتسلل
محال يحول القلب عنك وإننى	وحقك لا أسلو ولا أتحوّل
عليك صلاة الله منه تواصلت	صلاة اتصال عنك لا نتنصل

وب كان أفضل خلق الله كان أول خلق الله وآخر أنبياء الله، روى عبد الرازق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال قلت يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، أخبرنى عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال «يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من موره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الأول القلم، ومن الثانى اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الرابع إلى أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن لثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنصهم وهو التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»^(١).

وظهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية، قال ﷺ «ما ولدنى من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدنى إلا تكاح الإسلام»^(٢)، وقال ﷺ

(١) متفق عليه

(٢) رواه البخارى والترمذى وابن ماجه

«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصنني من نكاح الجاهلية شيء»^(١) فهو سلالة الطيبين الطاهرين، ونتيجة الكرام الموحدين، النبي العربي الهاشمي القرشي المنتخب من خير بطن لعرب وأعرقها في النسب، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر «وهو قريش وإليه تنسب قريش ومن كان فوقه فكناني لا قرشي» بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، هذا هو السب المتفق عليه وما بعده لا يعول عليه

ولما أراد الله تعالى إبراز هذا السر المصور السرى في الظهور والبطون من عالم الخفاء إلى عالم الظهور، ليتم بذلك كمال الصفاء ومزيد السرور، ألهم عبد المطلب بأن ذهب إلى ابن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فخطب منه ابنته آمنة لولده عبد لله وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش نسباً وموضعاً، فزوجها له، وبني بها في شعب أبي طالب فحملت برسول الله ﷺ وظهر لحمله عجائب، ولوضعه غرائب

وينقل إمامنا شيئاً من شعر البوصيري قائلاً

ولله در البوصيري رضي الله عنه حيث قال:

ومحيا كالشمس منك مضيء	أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للديـ	من سرور بيومه وازدهار
وتوالت بشرى الهواتف أن قد	ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى إيوان كسرى ولولا	آية منك ف تداعى البناء

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وأبو داود

وغيذا كل بيت فيه نار فيه	كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا	ن لنيرانهم بها إطفاء
مولد كان فى طالع الكف	ر وبال عليهم ووباء
فهنيئاً به لآمنة الفض	ل الذى شرفت به حواء
من لحواء أنها حملت أحم	د أو أنها به نفسها
يوم نالت بوضعه ابنة وهب	من فخار ما لم تنله النساء
وأتت قومها بأفضر مم	ا حملت قبل مريم العذراء
شعته الأملاك إذ وضعت	وشفتنا بقولها الشفاء
رافعاً رأسه وفى ذلك الرف	ع إلى كل سودد إيعاء

ويختتم الشيخ رضى الله عنه كلماته عن المولد الشريف بقوله .

جعلنا الله من خير أتباعه، وختم لنا بالوفاء على أكمل حالات
أتباعه، آمين.

الفصل الرابع تصفوه

تصوفه

تثقف الإمام الدردير في علوم الشريعة والعربية كأحسن ما يكون
اعلماء، وكان بذلك عالماً من علماء الدين في العلوم الكسبية يشار إليه
بالبنان.

وفي عام ١١٦٠ هـ بدأ حياته الصوفية في جد

إنه من غير شك لم يبدأها من ألعها فإنه وقد كان يحضر دروس
الشيخ الحفنى كان يسمع بعض إيضاحات من آن لآخر من الشيخ عن
الصوفية وعن التصوف، ثم إن كتب التصوف كانت شائعة في ذلك الزمن
وكانت في متناول الأيدي، ولاشك أنه متأثراً بنزعة أبيه الصوفية ومتأثر
بالشيخ الحفنى - قد قرأ الكثير منها.

ولكن التصوف ليس في جوهره - قراءة، وإسا هو في جوهره - عمل؛
والإمام الغزالي يحدثنا عن تجربة، فيبين أنه قرأ كتب الحارث بن أسد
لمحاسبى وقرأ لمتناثرات عن الجنيد وعن لشبلى، وقرأ كتاب «قوت
القلوب» لأبى طالب المكي، وقرأ غير ذلك، ولكنه يعترف بأن هذه القراءة
لم تجمع منه صوفيًا فاتخذ الطريق الذى يؤدي إلى الغاية وهو
لطريق العمل.

كذلك كان الأمر بالنسبة لإمامنا الدردير :

لقد حزم أمره وقد بلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا على أن يسلك
الطريق العمل في التصوف

فذهب في سنة ١١٦٠ هـ إلى شيخه في الحديث الشيخ الحفاوى لأخذ الطريق، وقد ترك لنا بقلمه وثيقة نفيسة في ذلك إنه يقول:

«وقد كان سبقت في إشارة قبر الاجتماع عليه أنى سأسير بسيره، فلما كان أوائل المحرم الذى هو مفتتح سنة ٦٠ ستين، ذهبت إليه بعد عصر الخميس، ودكرت معه الورد، ثم بعد أن حتمته تقدمت إليه لقصد التلقين، فوضعت يدي في يده، فقال بعد الاستغفار والدعاء اسمع منى الذكر ثلاثاً، واغمض عينيك وقله بعدى ثلاثاً. ثم قال لا إله إلا الله، ثلاثاً، وقلت ذلك بعده ثلاثاً، ومن ذلك الوقت رجعت عن الخواطر الرديئة التى كانت تكثر منى فى حب الدنيا من بركته، ثم مكثت نحو ستة أشهر حتى أحرق الذكر جسمى، وأذهب لحمى ودمى، حتى صار مجرد جلدى على عظمى، لقننى الاسم الثانى «هو الله» بأن وضع فاه على أذنى اليمين، ثم قال الله ثلاث مرات بمذ وهمة، حتى غبت عن وجودى، ثم قلت ذلك بعده ثلاثاً، وفى ليلة الجمعة وبعد صلاة المغرب لعشر خلت من رمضان الذى هو من شهور سنة ٦٣ ثلاث وستين لقننى الاسم الثالث وهو «هو» بعد وهمة فى أذنى اليمين كذلك، وكنت فى هذا اسقام كثير الأحزان، ذاهلاً عن حالى، متلذذاً بذلى، فرحاً بمسكنتى، كثيراً ما يرد على لا أدري ما يفعل بى

وفى صبيحة يوم الاثنين قبل طلوع الشمس الذى هو ثالث عشر ذى الحجة الحرام لقننى الاسم الرابع، وهو «حق» فى أذنى اليمين كذلك، وقد لى هذا أول مقام يضع المرید فيه قدمه فى طريق أهل الله، فلتكن على حالة طيبة، أو كلاماً معناه ذلك

وفى سنة ٦٤ أربع وستين يوم الأحد الذى هو خامس شهر رجب قبل طلوع الشمس لقننى الاسم الخامس وهو «حى» فى أذنى اليمين كذلك

وفى ليلة الجمعة التى هى خامس ليلة من شوال لقننى الاسم السادس وهو «قيوم» فى أذننى اليمنى كذلك، وكنت فى هذا المقام لا أعى شيئاً، مع أنى كنت أخاطب الناس بأحسن خطاب، ولكن لا أدرى يغالب أحوالى، حتى لو تكلم الدس وأنا معهم بكلام وخاطبونى به لا أدرى ما قالوا، وهم لا يعلمون منى هذا لحال، لأن صورتى الظاهرية صورة لعاقل الصاحى، وهذا أمر عجيب لا يعرفه إلا من ذاقه.

وفى ليلة الاثنين التى هى ليلة السادس والعشرين من رمضان سنة ٦٥ خمس وستين لقننى الاسم السابع وهو «قهر» فى أذننى اليسرى، لسر يعلمونه، وفيه حصل لى بعض صحو، ومع ذلك فإننى الآن واقف على الباب منتظر رفع الحجاب قائلاً

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماى ظلت

فإذا أسعفت العنايت أدخلنا حضرة الحضارات، وهى الحضرة الجامعة التى ليس بعدها حضرة. وما ذلك على الله بعزيز

والإمام الدردير معنى كل العناية بهذه الأسماء السبعة ومعنى بصلتها بالنفوس لسبعة، وإذا كنا سنتحدث عن رأيه فى النفوس السبعة وشرحه لها فإننا نعجل الآن فنذكر رأيه فى صلة هذه النفوس بهذه الأسماء قال رضى الله عنه

واعلم أن الأسماء السبعة على عدد النفوس السبعة، أى أطوار النفوس السبعة فكس واحدة يناسبها من الأسماء ما يقتضى فناءها على صفاتها المذمومة وتمزيق حجبها الحائلة بينها وبين مشاهدة الحق تبارك وتعالى

وأولها : النفس الأمارة بالسوء ذات الحجب الظلمانية، ومقدمها ظلمات الأغيار يوافقها الاسم الأول وهو «لا إله إلا الله»

الثانية : النفس اللوامة كثيرة اللوم لصاحبها. ومقامها مقام الحجب المورنية لأنها ليست كثيفة ويناسبها الاسم الثاني، وهو «الله»

الثالثة : النفس الملهمة التي ألهمت فجورها وتقواها، ومقامها مقام الأسرار، وصاحبها نشوان يغلب عليه لمحبه والهيمن والحزن والتواضع والإعراض عن الخلق والتعلق بالحق، ويناسبها الاسم الثالث وهو «هو» للتخلص عن ورطتها وينبغي له كثرة التعلق بالشيخ وكثرة الذكر فيه لأن لها في هذا المقام دسائس خفية ربما أوبقته والعياذ بالله

الرابعة : النفس المطمئنة، ومقامها مبدأ الكمال، متى وضع السالك قدمه فيه عد من أهل الطريق. واستحق لبس خرقتهم لانتقاله من التلوين إلى التمكين، وصاحبها سكرن هبت عليه نسمات الوصول يحاطب، الناس وهو عنهم في بون لشدة تعلقه بالحق تعالى، ويناسبه الاسم الرابع وهو «حق». وهذا المقام لا يمكن الوصل إليه عادة لغير السالكين، ولو أتى بعبادة الثقيلين لأن غير السالك مقيد بقيود الشهوات، والشرك الخفي لا ينفك عنها إلا بأفاس مشايخ الكبر العارفين مع المجاهدة ولتزام الأدب على أيديهم وغير هذا لا يصح

الخامسة : النفس الراضية، ومقامها مقام الوصال والفناء والجمع. صاحبها غريق في السكر لا باقياً بنفسه، بل بربه يحاف من شغل يشغله عن حاله لما هو فيه من التلذذ والصفاء والأسر، كثير الرضا بالقضاء والتسليم والشكر وغير ذلك من الصفات المحموده ويناسبه حينئذ الخلوة المخصوصة بذلك، وأما قبل ذلك فإنما يناسبه الاسم الخامس وهو «حي» لتحيا به نفسه

السادسة : النفس المرضية، مقامها مقام تجليات الأفعال، صاحبها لا يرى صدور الأفعال إلا من الله تعالى، فلا يمكنه حينئذ أن يعترض على

أحد أبداً - حسن الخلق، يتلذذ بالحيرة التي أشار لها العارف سيدي عمر ابن الفارض بقوله :

زدني بفرط الحب فيك تحيراً وارحم حشاً بلظى هواك تسعراً
ويناسبه الاسم السادس وهو «قيوم» .

السابعة : النفس الكاملة، ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات، يناسبها الاسم السابع وهو «قهار» فيحصل لها تمام القهر، ويزول ما فيها من بقايا النقص وحالها البقاء بالله تسير بالله إلى الله، وترجع من الله إلى الله ليس لها مأوى سوى أن تأخذ بالله وتعطي بالله مشاهدة من الله شؤونها كلها لدى الله دخلت في عباد الله إلى جنة مشاهدة الله لما طلع عليها الفجر في ليال عشر فرقت بين الشفع والوتر كما قيل:

وبعد ألفنا بالله كن كيفما تشاء فعملك لا جهل وفعلك لا وزر

وبقى الإمام الدردير مريداً يذكر ويتلقى الأسماء الواحد تلو الآخر على فترات متفاوتة إلى أن كانت سنة ١١٧٢ هـ، وهنا رأى الشيخ أنه قد بلغ مرحلة النضج فأجازه، وفي ذلك يقول سيدي أحمد الدردير :

«لئن العبد الفقير الذكر المعروف عندهم، وهي الأسماء السبعة على التدرج، والإرشادات الإلهية مع الكد والسهر والجوع، وأذن لي في التلقين والإرشاد من غير أن أقول له أجزى في ذلك، ونص هذه الإجازة ما يلي:

«حمداً لمولانا العلي السند، وصلاة وسلاماً على من يقربه للراوى على السند، وعلى آله الفائزين برضاه، وصحبه الأعلام نجوم هداة

أما بعد. فقد لازمتني في قراءة كتب جمّة بمزيد تدقيق وتحقيق وعنو همة، العلامة الهمام، واسطة عقد العلماء الأعلام، من له القلب البار، مظهر أنوار الأسرار، اللوذعي الأملعي، النحرير، مولانا الفهامة الشيخ

أحمد الدردير، صاحب الدروس المفيدة، والتحريرات لفريدة، وقد أجزته بما تضمنه هذا الثبت من العلوم، لأنه حرى بإدراك المنطوق منها والمفهوم، وسأثر ما تجور لى روايته، أو ثبتت لدى درايته، وقد تلقن منى على طريقة السادة الخلوتية، إلى منتهى الأسماء السبعة المعلومة عند السادة الصوفية. وأذنته أن يلتن من دم سلوك الطريق، والانتظام فى سلك هذا الفريق، أدام الله نفعه والنفع به، منظوماً فى عقد أهل قربه، وأتم صلاة وسلام على أكمل رسل السلام، وعلى آله الكرام، وصحبه حلىص أهل الإسلام»

كتبه محمد بن سالم الحفناوى بلدًا. الشافعى مذهبًا، الخلوتى مشربًا. الأحمدى خرقة، سبط الإمام الحسين، فى ثامن عشر من محرم افتتاح سنة ١١٧٢ هـ اثنتين وسبعين ومائة وألف، أحسن الله حتمها.

ولقد صلى الشيخ الدردير عناية خاصة بإثبات سند شيخه فى الطريق هذا السند هو سند الشيخ الدردير نفسه عن طريق لشيخ الحفنى «الحفنى الحفناوى كلاهما صحيح».

إنه يقول عن هذا السند :

ثم إن شيخنا المذكور الشيخ الحفنى - صاعف الله له عظيم الأجور تلقن الذكر عن الشيخ الكبير العارف النحرير السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى صاحب ورد السحر، وهو تلقن من العارف بالله تعالى الشيخ عبد اللطيف الخلوتى الحلبي، وهو تلقن من العارف بالله تعالى مصطفى أفندى الأدرنوى، وهو تلقن من الشيخ على قراباش أفندى واشتهرت الطريق به، وهو تلقن من الشيخ إسماعيل الحرومى، وهو تلقن من السيد عمر الفؤادى، وهو تلقن من محبى الدين القسطنونى، وهو تلقن من الشيخ شعبان أفندى القسطنونى، وهو تلقن من خير الدين النوقدى، وهو تلقن من جلبى سلطان الأقسدائى الشهير بجمال الخلوتى، وهو تلقن من محمد بن بهاء الدين الأرونجاتى، وهو تلقن من سيدى يحيى

الباكوبى، وهو تلقن من صدر الدين الحيالى. وهو تلقن من سيدى الحاج عز الدين، وهو تلقن من عمر الخلوتى، وهو الذى انهلجت الطريق على يديه وهو تلقن من أبى محمد الخلوتى، وهو تلقن من إبراهيم الزاهد التكلانى، وهو تلقن من سيدى جمال الدين القبريزى، وهو تلقن من شهاب الدين محمد الشيرازى، وهو تلقن من ركن الدين محمد النجاشى، وهو تلقن من قطب لدين الأبهري، وهو تلقن من أبى النجيب السهروردى، وهو تلقن من عمر البكرى، وهو تلقن من وجيه الدين القاضى. وهو تلقن من محمد البكرى، وهو تلقن من محمد الدينورى، وهو تلقن من ممشاد الدينورى، وهو تلقن من سيد الطائفة أبى لقاسم الجنيدى بن محمد البعدادى، وهو تلقن من السرى السقطى، وهو تلقن من معروف الكرخى وهو تلقن من داود بن نصير الصائى، وهو تلقن من حبيب العجمى، وهو تلقن من الحسن البصرى، وهو تلقن من الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وهو تلقن من سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ، وهو من جبريل عليه السلام، وهو من رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه

وأخذ الشيخ الدردير منذ ذلك الحين يكتب عن التصوف. يوجز أحياناً، ويستفيض أخرى، يذكر كلمة هنا، وفقرة هناك، ويكتب الكتب والرسائل، ومن إيجازه فى رسم الطريق ما يلى

وقال بعض الصوفية إذا أراد الله أن يوالى عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب قربه ثم رفعه إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسى التوحيد، ثم رفع عنه الحجب، فأدخله دار الفردانية وكشف عنه حجاب الجلال والعظمة فصار فى حفظه سبحانه من دعاوى نفسه ورغونات طبعه فعند ذلك تصح له الولاية ويكون الحق وليه على التحقيق

وكما اختتم إمامنا أبحاثه في الفقه بهذه النبذة الجميلة التي أوردناها في الفصل الثالث فإنه اختتم أبحاثه في التوحيد بالحديث عن التصوف، وكأنه يقول. «إن نهاية التوحيد هي التصوف وأن من لم يتصوف لم يذق التوحيد»

إن الأمر في التفرقة بين اعتقاد التوحيد، ومذاق التوحيد دقيق، وكلاهما فيما يتعلق بالجواهر وفيما يتعلق بالمبدء لا يختلفان ولكنهما يختلفان في الشعور وفي السلوك، وما دامت درجة الإيمان تختلف من شخص إلى شخص، فإنه لا غرابة في أن يكون ذلك الإيمان الاعتقادي وهناك الإيمان الذي رسخ فأصبح شعوراً ومذاقاً.

إن الإمام الدردير حينئذ توج كتابه. «لخريدة» ببحث التصوف إنما جعل التصوف تاج علم الكلام.

ومن قبل الإمام الدردير توج ابن سينا أبحاثه في الفلسفة في كتابه الذي يعتبر بالنسبة له أهم الكتب وهو كتاب «الإشارات» بأبحاثه عن التصوف، وكأنه هو الآخر يعلن أن التصوف تاج الفلسفة

وما من شك في أن التصوف هو القمة لمن أراد السلوك إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا كان الفلاسفة قد ضلوا الطريق إليه، فإن الصوفية متابعين لرسول الله ﷺ ملتزمين لسنة قد ساروا على الصراط المستقيم

والإمام الدردير يمهّد للحديث عن التصوف بفكرة مركزة جميلة تلخص في كلمة كل ما ذكره في كتابه من عقائد في الإلهيات، وفي النبوات. أي في علم الكلام، إنه يقول:

وينطوي في كلمة الإسلام ما قد مضى من الأحكام

وهذا البيت من الشعر هو أحد أبيات الخريدة، وكلها شعر، ثم يبدأ الإمام بشرح هذا البيت فيقول:

«ينطوى» أى يندرج . (فى معنى (كلمة الإسلام) أى الدالة على الإسلام وهى :

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بإضافتها للإسلام من إضافة الدال للمدلول ، سميت كلمة لدالتها على معنى واحد وهو لإسلام .

«ما قد مضى» ذكره ، (من سائر أى جميع ، (الأحكام) الإلهيات ، والنبويات والسمعيات .

بيان ذلك أنهما جملتان - الجملة الأولى - لا إله إلا الله ، وإله هو لمعبود بحق ، فالعنى لا معبود بحق موجود أو فى الوجود - إلا الله فقد دلت هذه الجملة على نفي الألوهية التى هى استحقاق المعبود للعبادة ، كما عرفت ، عن كل ما سواه منطوقاً ، وعلى ثبوتها له تعالى وحده مفهوماً ، وهذا يستلزم .

استغناؤه تعالى عن كل ما سواه

وافتهار كل ما سواه إليه تعالى .

أما استغناؤه عن كل ما سواه فيوجد له تعالى الوجود ، والقدم ، والبقاء ، ومخالفته للحوادث ، وقيامه بنفسه ، إذ لو ماثل شيئاً منها لزمه ما لزمها من الافتقار وهو محال ، ولو قام بغيره لكان مفتقراً إلى ذلك الغير .

ويوجب له أيضاً التنزه عن النقائص ، وهو يستلزم وجوب السمع والبصر والكلام والتنزه عن الأغراض فى الأفعال والأحكام وإلا لكان مفتقراً إلى ما يتكامل به من ذلك لغرض ، وعدم وجوب فعل شىء من الممكنات أو تركه ، وعدم كون شىء من الممكنات يؤثر بقوة أودعها الله فيه وإلا لم يكن مستغنياً عن كل ما سواه ، كيف وهو الغنى بالإطلاق عن كل ما سواه

وأما افتقر كل ما سواه إليه تعالى فهو يوجب له تعالى .
القدرة، وإرادة، والعلم، والحياة، والوحدانية، لما تقدم من أن التعدد
يوجب العجز

ويؤخذ منه حدوث العالم بأسره.

ونفى تأثير شيء منه بالطبع أو بالعلة، وإذا وجب شيء استحال ضده
ثم يقول الإمام لدردير هذا حاصل ما بينه الإمام السنوسي
رضي الله عنه؟

والإمام يقره ثم يعود يوجزه في سطرين فيقول

وذلك أن تقول :

الله علم على الذات الواجب الوجود الخالق للعالم، وقد دلت هذه
الجملة على حصر الألوهية فيه تعالى، وظاهر أن كونه واجب لوجود
وخالق للعالم يتضمن جميع ما ذكر . .

ثم يبدأ الإمام في الحديث عن الجملة الثانية التي تكمل معنى لإسلام
فيقول :

وأما الجملة الثانية وهو قولنا «محمد رسول الله» فقد دلت على ثبوت
الرسالة له ﷺ، وذلك يستلزم صدقه في كل ما أخبر به، وأمانته،
وتبليغه للعباد كل ما أمر بتبليغه من الأحكام، وفطنته، إذ الرسول
لا يكون إلا معصوماً، واستحالة أضدادها عليه ﷺ، وجواز كل
ما لا يؤدي إلى نقص في علو مرتبته من الأعراض البشرية

ووجوب صدقه يستلزم الإيمان بكل ما جاء به، ومن ذلك إرسال الرسل
وهو يستلزم ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز، والإيمان بسائر
الكتب السماوية، واليوم الآخر، والحساب، وما عليه مما مر من جميع

السمعيات، ولتضمنها جميع عقائد الإيمان جعلها الشارع ترجمة على ما فى القلب، ولم يقبل من أحد الإسلام إلا بها، ومن ثم كانت أفضل الأذكار، قال ﷺ :

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى . لا إله إلا الله»^(١)

وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة ولذلك اختارها السادة الصوفية فى السلوك إلى الله تعالى على غيرها من لأذكار

وبعد هذا التمهيد يبدأ إمامنا فى إيضاح التصوف فيقول

فأكثرن من ذكرها بالأدب ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب

ثم يبدأ كعادته فى شرح ذلك فيقول :

«إذا علمت ذلك (فأكثرن) بنون التوكيد الخفيفة، (من ذكرها) أى كلمة الإسلام (بالأدب) أى مع الآداب التى ذكرها القوم

وهذا شروع منه سامحه الله تعالى فى فن التصوف الذى هو حياة القلوب، رتبته على معرفة عقائد الإيمان، لأنه لا يمكن السير إلى الله تعالى إلا بعد معرفتها.

وهنا نقف قليلا لتأمل فكرة الإمام إنه ينبه إلى أنه لا تصوف إلا بعد معرفة عقائد الإيمان الصادقة، وهو حينما وضحه فى لخريدة وإنما وضحه على نهج أهل السنة، وكأنه لا يرى لغير أهل السنة مجال فى هذ الميدان، والواقع كذلك، فالمعتزلة لا تصوف عندهم، أما غيرهم من النحل التى تبعد عن مذهب أهل السنة، فإنهم أبعد عن التصوف بدرجة بعدهم عن مذهب أهل السنة، لا تصوف إذن عند الملل والنحل الأخرى، وذلك أن هذه الملل والنحل لا تمثل ديناً صحيحاً، وكلها حرفت وبدلت، ولم تعد صالحة للوصول بالإنسان إلى الله سبحانه

(١) متفق عليه

ويؤخذ من كلمة لشيخ أيضاً أنه ما لم يلتزم الإنسان الكتاب والسنة، فإنه لا يكون سائراً في طريق التصوف.

والواقع أن سادتنا الصوفية نبهوا بشدة إلى أنه لا تصوف ما لم يلتزم الإنسان لشريعة ويتخذها أساساً، وستأتى توضيحات لذلك ما هو التصوف ؟

ما حده ؟

إن المؤلف يعرف التصوف علماً، ويعرف التصوف عملاً، فيقول: «وحدُّ - تعريف التصوف علماً هو علم بأصول يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس، وعملاً هو الأخذ بالأحوط من أمور، واجتناب المنهيات، والاقتصار على الضروريات من المباحات

ولا يكتفى المؤلف بهذا التعريف، ولكنه يذكر تعريفات أخرى هي قول

ويقال هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك

ويقال هو حفظ الحواس مراعاة الأنفس، والمعنى منقارب، وهذه كلها تعريفات تتصل بالوسيلة والطريق، ولا تتصل بالغاية والهدف، ومن أجل ذلك قال

وغايتته صلاح القلب، وسائر الحواس في الدنيا، ولغور بأعلى المرتب في المقبي

وهذه الغاية صحيحة، ولكنها لا تنفى أن يكون هناك غايات أخرى عبر عنها سادتنا الصوفية، منها مثلاً قول أبي بكر الكنانى

«التصوف خلق، فمن راد عليك في الخلق فقد راد عليك في لصفاء

وقول أبي محمد الجرجرى :

«الدحول في كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى»

وقول أبي الحسين النورى :

«ليس التصوف رسماً ولا علماً، ولكنه «خلق» لأنه لو كان رسماً لحصل بالمجاهدة، ولو كان علماً لحصل بالتعليم، ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم».

وقوله أيضاً :

«التصوف الحرية، والكرم، وترك التكلف، والسخاء»

وموضوعه : الأخلاق المحمدية من حيث التحلق بها

وهو الذى قاله الشيخ فى موضوع التصوف فى غاية الجمال والدقة

وإذا تساءلت الآن عن الفرق بين الطريقة والشريعة والحقيقة فإنك مهما بحثت فلن تجد تفرقة أيسر وأدق من تفرقة مؤلفنا، إنه يقول

«واعلم أن التصوف بمعنى العمل هو الطريقة»

وأما الشريعة فهى الأحكام التى وردت عن الشارع المعبر عنها بالدين

وأما الحقيقة فهى أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة، فهى علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدورات الطباع البشرية

ما هى الوسيلة التى تؤدى إلى صفاء القلب حتى تحصل المعارف ؟

لا شىء أقرب لصفاء القلب من كثرة ذكر لا إله إلا الله، مع الآداب التى ذكرها أهل الله رضى الله تعالى عنهم

الآداب :

وهذه الآداب ضرورية، إذ إنه متى ترك السالك لآداب أو أكثره يبعد عليه الوصول إلى مطلوبه وقد قسمها المؤلف إلى ثلاثة أقسام فهى

إما قبلية، وإما مصاحبة، وإما بعدية :

قالقيلية أن يجدد التوبة مما وقع فيه من المخافات أو الخواطر
الرديئة

وأن يتطهر من الحدث والخبث.

وأن يتوجه إلى الله تعالى برغبة ليحصل له الجمعية في الذكر.

وأن يستغفر الله تعالى بما تيسر بأى صيغة كانت

وأن يصلى على النبي ﷺ كذلك.

وأن يستقبل القبلة لأنها أفضل الجهات.

وأن يستحضر شيخه ليكون رفيقه في اليسر ثم يسرع في الذكر

وأما الآداب المصاحبة له :

فأن يستحضر معناها إجمالاً، وأن يحقق الهمزة، ويمد ألف «لا» مداً
متوسطاً ويفتح «ها» إله فتحة خفيفة، ويمد ألف «الله» وألف «إله» مداً
طبيعياً، ويأتى بالهاء من الله ويقف عليها

وأن يذكر بهمة وقوة، وأن يكون ذكره رغبة في مرضاة الله ومحبة
وامتثالاً لأمره، لا لرياء، ولا لسمعة، ولا لأمر دنيوى أو آخرى

وأن ينفى الأكوان من قلبه، لأن ملاحظة شئ منها قاطع عن الله تعالى.

ولولا أن للشيخ مدخلا في السير ما سوغوا له ملاحظته في حال

البداية

وأن يجلس كجلوسه في التشهد إلا لتعب فيجوز الترمع

وأن يغمض عينيه لأن له تأثيراً في تنوير القلب، وأن يبتدئ بلا جهة

اليمين، ويرجع ياله، ويختم بالله جهة اليسار، مشيراً إلى قلبه، فإذا أراد

ختم الذكر ختمه بمحمد رسول الله

وأما لآداب البعدية فإنه يسكت ويسكن بخشوع، فإن للذكر واردات ترد على قلب الذكر، ولا يتمكن الوارد من القلب إلا بذلك، فإذا كان الوارد، وارد زهد وجب التمهّل حتى يتم ويتمكن من القلب فتستوى عنده الدنيا أقبلت أم أدبرت

وإذا كان وارد توكل صار بعد ذلك مفوضاً أمره إلى ربه في كل شيء، وإذا كان وارد صبر صار بعد ذلك لا ينزعج من تقاوم الأهوال، وهكذا من الواردات.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه :

ولهذه السكينة آداب مراقبة الله تعالى، وإجراء معنى الذكر على قلبه، ونفى الخواطر كلها، وجمع حواسه كلها بحيث لا تحرك منه شعرة كحال لهرة عند اصطيد الفأرة، وأن يكتم نفسه بقدر الطاقة مرراً أقلها ثلاثة إلى سبعة حتى يدور الوارد في جميع أركانه، والألبادر بشرب الماء عقب الذكر فإنه يطفئ ما يحص من أنوره، فإن دأومت على الذكر بهذه الآداب (ترق): (بهذا الذكر) المشتغل على الآداب والترقى إلى (أعلى الرتب) جمع رتبة، وهي لخليقة الحسنة المحمودة عاقبتها.

أدنى الرتب وأهلها :

وأدنى الرتب الإسلامية لوم النفس على ما صدر منها من المخالفات

وأعلاها رتبة الصديقية ينالها العبد بعد دخوله في مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه

رتبة الصديقية :

ورتبة الصديقية فى نفسها مراتب متفاوتة بعضها أعلى من بعض، وأعلاها رتبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقام النبوة، فصاحب مقام الصديقية لو تخطى مقمه لنزب فى مقام النبوة، إلا أن النبوة قد ختمت بنبينا محمد ﷺ، والصديقية لم تختم، فمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى والخلافة العظمى وهذا المقام تترادف فيه الفتوحات، وتعظم التجليات، وتتم المشاهدات والكشوفات، لكمال النفس وحسن صفاتها

الوصول إلى رتبة الصديقية :

ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد الفناء وهو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لا تصير ملتفتة إلى شيء منها، بل ترهدها كم تزهد أكل الجيفة مثلاً، وصفاتها اذمومة هى الحسد والحقد وحب الجاه والصيت والمحمدة والرياسة والشهوات والكبر ولرب، والمعجب والنفاق، والغرور، وبغض أحد من الخلق لغير غرض شرعى ونحو ذلك. فإذا زالت عنه هذه الأوصاف القبيحة اتصف بضدادها من الصفات الحميدة كالشفقة والرأفة على الخلق حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، والإخلاص وحسن الخلق، والسخاء والمسكنة التى طلبها انبى ﷺ بقوله: «اللهم أحيى مسكيناً، وأميتنى مسكيناً، واحشرنى فى زمرة المساكين»^(١)

وهذه المسكنة هى خضوع النفس لمقام الألوهية وخفض الجناح بلبرية حتى لا يشم صاحبها للرياسة رائحة وصاحبها هو العبد الحقيقى الصديق، فمن لم ينصف بها لم تخل نفسه من منازعة الحق تعالى فى أحص أوصافه

(١) متفق عليه

لأن الرياسة إنما تكون للفاعل المختار الغنى على الإطلاق، وهي لا تفارق الإنسان إلا بعد المجاهدة الكبرى فغرقها لا ينقطع عن أحد إلا من خصه الله بالعبودية المحضة.

ولذلك قلوا آخر ما يخرج من قلب الصديقين حب الرياسة ولا يسهر الوصول إليها عادة إلا بعداومة ذكر. لا إله إلا الله، ليلاً ونهاراً من تعلق القلب بالله وحده، والجوع، والسهر، والاعتزال عن الناس، والخصم إلا عن ذكر الله تعالى، وملاحظة بقية أركان الطريق التي سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى، وهو المسمى بالمجاهدة.

وقل تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١)

الطريق إلى الله :

وهذا الترقى هو المسمى بالسلوك إلى ملك الملوك عند الطائفة وأما السير إلى الله تعالى، فهو توجه القلب إلى الرب مع مخالفة النفس في شهواتها ولو مباحة طلباً لمرضاة الله تعالى وإيثاراً له على ما سواه. فالسير كالسهب في السلوك وقد يطلق السلوك على المعنى الثاني أيضاً. والسلوك إلى الله تعالى طريقة النبيين والصديقين والعلماء العاملين إلا أنه مختلف :

سلوك الأنبياء :

فسلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدؤه الترقى من نفوس مطهرة كمالية إلى ما لا نهاية له من المقامات الإحسانية، وهو في نفسه متفاوت فسلوك أولى العزم منهم أعلى وأجل من سلوك غيرهم، وسلوك سيد أولى

(١) سورة العنكبوت. الآية ٦٩

العزم عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أعلى من غيره: إذ مبدؤه نهاية غيره، وأما سلوك غيرهم فمن نفوس أماراة أو لومة ظلمانية إلى نفس كاملة صديقية، والنهايات تختلف في الإشراق بحسب اختلاف البدايات فبإحراق البداية يكون إشراق النهاية.

النفوس سبعة بحسب أوصافهم وإلا فهي واحدة :

النفس الأماراة :

النفس الأماراة بالسوء وهي لا تأمر صاحبها بخير

النفس اللوامة :

فإذا جاهد صاحبها وحالفها في شهواتها حتى أذعنّت لا تباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفي، ولكنها تغلب صاحبها في أكثر أحوالها ثم ترجع إليه باللوم على ما وقع سميت لومة وهي الثانية

النفس الملهمة :

فإذا أخذ في المجاهدة والكد حتى مالت إلى عالم القدس واستنارت بحيث ألهمت فجورها وتقواها سميت ملهمة وهي الثالثة، وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الحفية الدقيقة من الرياء والعجب وغير ذلك

النفس مطمئنة :

فإذا لزم لمجاهدة حتى زابت عنها الشهوات وتبدلت الصفات المذمومة بالمحمودة وتخلقت بأخلاق الله تعالى الجمالية من الرأفة والرحمة واللفظ والكرم والود سميت مطمئنة وهي الرابعة وهذا المقام هو مبتدأ الوصول إلى الله تعالى، ولكنها لا تخلو من دسائس خفية جداً كالشرك الخفي وحب الرياسة، إلا أنها لخفتها ودقتها لا يدركها إلا أهل نور الله

بصائرهم لأن ظاهرهم الصلاح والاتصاف بالصفات الحميدة من الكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر ولصبر والتسليم والرضا بالقضاء مع اكشاف بعض أسرار وانخروق بعض عادات، وظهور بعض كرامات فربما ظن صاحبها أنه الإمام الأعظم وأن مقامه هو المقام الأفخم وهذا من جملة الدسائس.

النفس الراضية :

فإذا أدركته العناية الإلهية واستند إلى شيخه بالكلية ولازم المجاهدة حتى تمكن من الصفات المحمودة، وانقطع عنه عرق الرياء وصارت نفسه ذليلة واستوى عنده المدح والذم، ودخلت في مقام الفناء ورضيت بكل ما يقع في الكون من غير اعتراض أصلاً سميت راضية وهي الخامسة

النفس المرضية :

ولكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقع في شيء من الإعجاب فيرجع به القهقري فليستعذ بالله من ذلك من مداومة الذكر والالتجاء إلى الله، وملاحظة أنه لا يتم له الخلاص إلا بمعدد الشيخ فإذا فنى عن الفناء، وخلص من رؤية الإخلاص، تجلى عليها بالرض وعفا عن كل ما مضى، وتبدلت سيئاتها حسنات وانفتح لها أبواب الأذواق والتجسيات. فصرت غريقة في بحر التوحيد وآنسها بلاهل الأسرار والتفريد، ولذا سميت مرضية لأنها بعنايات الله مرعية وهي السادسة

النفس المطمئنة :

إلا أن صاحب الهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند هذه المقامات وإن كانت سنية بل يسير من الفناء إلى البقاء، ويطلب وصل الوصل بتمام اللقاء فتناديه حقائق الأكوان إنما نحن فتنة فلا تكفر، وأن إلى ربك المنتهى.

وبعد ألفنا بالله كن كيفما تشاء فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

فهو محفوظ من الوقوع فى المخالفات لحضوره دائماً مع الله فى جميع الحالات، واعلم أن الكاملين فى الناس من أقل الأقل، إذ السالكون إلى الله تعالى من المؤمنين قليلون والواصلون منهم قليلون والكاملون منهم قليلون، إذ السير إلى الله تعالى صعب جداً لا يقدر عليه إلا ذوهمة عالية وصدق كامل، إذ ترك أسلوفات من الطعام والمذم وجمع المال وحب الجاه وسائر الشهوات لا يقدر عليه إلا القليل من الأبطال والطريق فيها مفاوز ومهلكات فالناجى فيها قليل ولذا قيل:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال وبينهن حتوف
والرجل حافية ومالى مركب واليد صفر والطريق مخوف
والخوف والرجاء :

ثم بعد ذلك تحدث المؤلف عن شعور الإنسان السالك كيف يكون؟ فقال:

وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تنساء
ثم أخذ يشرح ذلك فيقول

(وغلب) فى حال اشتغالك بالذكر المذكور (الخوف) من الله تعالى مادمت فى حال الصحة (على الرجاء) فى رحمته وعفوه، يريد أنه لا بد للعبيد من الخوف والرجاء معاً لأنهما كجناحي الطائر، متى فقد أحدهما سقط إلا أنه فى حال الصحة والسلامة ينبغى تغليب جانب الخوف على جانب الرجاء، لأنه كالسوط ينساق به إلى الاعتناء بالعبادة وبه تزول الرعونات النفسية عن القلب إن شاء الله تعالى؟

فإذا نزل به المرض وشرف على الموت فينبغى تغليب جانب الرجاء على الخوف لأنه حال اقتراب على الكريم والخوف هم وقلق لما هو آت

والحزن هم لما فات والرجاء تعلق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب، فإن لم يأخذ في الأسباب قطع، وهو مذموم شرعاً (وس) سيراً حثيثاً (لولاك) أى سيدك وخالقك (بلا تناء)، أى بلا تباعد عن الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى، بأن تعلق قلبك بغيره تعالى، وتقدم أن السير عبارة عن تعلق لقلب بالله تعالى مع مخالفة انفس في شهواتها يثأراً له تعالى على غيره، وهذا هو الصريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى، وهى طريق الشطار من أهل المحبة والشوق إلى بارئ النسم ومبناها على الموت بالإرادة لخبر «موتوا قبل أن تموتوا» ولذا قال سيدى عمر ابن الفارض :

ونفسي كانت قبل لوامة متى أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتى
فحملتها ما الموت أيسر بعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتى
فمادت ومهما حملته تحملت منى وإن خففت عنها تأنت

الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى :

ثم أخذ المؤلف في رسم الطريق المستقيم إلى الله تعالى وأصول هذا الطريق عشرة :

أولها التوبة إنه يقول :

لا تياس من رحمة الغفار وجدد التوبة للأوزار

وأصولها عشرة: الأول التوبة من كل ذنب ولو صغيرة على التحقيق، وإليه أشار بقوله (وجدد) وجوباً (التوبة) أى الرجوع إلى الله تعالى (للأوزار) أى من أجل ارتكبك الأوزار جمع وزر وهو المعصية.

أركان التوبة :

وأركانها ثلاثة :

(أ) الندم على ما وقع منه من المخالفات لمراعاة حق الله سبحانه وتعالى

(ب) والعزم على ألا يعود لمثله ، وهذان لا بد منهما في كل توبة

(جـ) والثالث الإقلاع عن الذنب في الحال ، وهذا إنما يتأتى في ذنب لم ينقض فيجب لكف عن استتمام الرنا ، وشرب الخمر ، وعن أذية أحد ، ورد المظالم إلى أهلها . واستسماح مظلوم إن أمكن وإلا استغفر له وتصدق له بما يمكنه فإن الله تعالى إذا علم صدق العبد أرضى الله عنه خصاءه.

وتصح التوبة من ذنب دون آخر بخلاف السير إلى الله تعالى فإنه إنما يصح بالتوبة عن الجميع

وتجب المبادرة بها فتأخيرها ذنب آخر

وتوبة الكافر عن كفره بالإسلام مقبولة قطعاً والمؤمن المذنب من ذنبه مقبولة ظناً ، وقيل قطعاً ولا تنتقض التوبة بالرجوع إلى الذنب ، ولو رجعت إليه في ليوم ألف مرة . ويجب تجديدها عند كل رجوع إليه

لا تياسن من رحمة الغفار ، أي الغفار للذنوب فإن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء ، والولي هو الذي كلما وقع تاب قل الله تعالى ﴿ إِنَّ لِلَّهِ يَجِبُ التَّوْبِينَ ﴾ ، وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ، ومن أحبه الله تعالى قريبه وأدناه وليس شيء أشد على الشيطان من تجديد المؤمن للتوبة والياس أي القنوط من رحمة الله تعالى كبيرة أو كفر ، قال تعالى

﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكَبِيرُونَ ﴾ ^(١)

ويصل المؤلف إلى الأصل الثني وهو الشكر على النعم فيقول . وكن على آله شكوراً .

(١) سورة البقرة - الآية ٢٢٢

(٢) سورة يوسف : الآية ٨٧

ويشرح ذلك بقوله . الثاني شكر المنعم جل وعز، وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وبصر ولسان وغيرها إلى ما خلق لأجله وإليه أشار بقوله (وكن على آلائه) جمع ألى كظبي، بمعنى النعمة أى كن على نعمائه التى أنعمها عليك ظاهرة كانت كالسمع والبصر وسلامة الأعضاء أو باطنية كالإيمان والعلم :

(شكورا). أى كثير الشكر فهو يرجع إلى اعتقاد باجنان، وخدمة بالأركان، ونطق باللسان، بأن يعتقد ألا نعمة إلا منه تعالى، وينطق بلسانه بأنه لا إله إلا هو وبغيره من الأذكار، ويعمل بجوارحه كل ما طلب منه من المأمورات واجبة كانت أو مندوبة.

ومن النعم التى يجب الشكر عليها التوفيق للتوبة والشكر على الشكر والشكر لا نهاية له ولذا قال عليه الصلاة والسلام . «سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

والشكر بهذا الاعتبار عزيز جداً لأنه طريق الصديقين، ولذا قال تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)

أما الأصل الثالث فهو ما عبر عنه المؤلف بقوله وكن على بلائه صبوراً، الثالث الصبر على البلاء وهو حبس النفس على ما أصابها مما لا يلائمها رضا بتقدير ذلك المختار من غير انزعاج وإليه أشار بقوله (وكن على بلائه) من مرض وضيق عيش وفقد مال وعيال وأذية أحد، وغير ذلك. ومنه الأحكام التكليفية كالصلاة والصوم

(صبورا) أى كثير الصبر فإنه تعالى يحب عبده الصبور قل تعالى

(١) سورة سبا: الآية ١٣.

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ، أَجْرَهُم بِعَمَلٍ حَسَنٍ ﴾^(٢)

والصبر وصف أولى العزم والهمم العالية، وقد ورد فيه وهى اشكر من الآيات ولأحاديث لشريفة ما لو تتبع لأدى إلى مزيد التطويل المخرج عن المقصود، وبالجمله يندرج تحتها كل لدين من المأمورات والمنهيات فناهيك بهما مدحا لمن اتصف بهما فتأمل ثم علل طلب الصبر بقوله

فكل أمر بالقضاء والقدر وكل مقدور فما عنه مفر

أى وإنما طلب منك الصبر لأن كل ما برز فى الكائنات فهو (بالقضاء) أى بسببه، وهو عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة أزلاً بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها أى على طبق علمه (و) بسبب (القدر) بفتح الدال وهو عندهم إيجاد الله تعالى الأمور على طبق إرادته

وقال الماتريدية القضاء علم لله تعالى المتعلقُ زلاً بوجود الأشياء، والقدر إيجاد الأمور على طبقه، وعلى كل، فالقضاء صفة ذات يفيد تعلقها، ولقدر صفة فعل، ونظم ذلك العلامة الأجهورى بقوله

إرادة الله مع التعمق	فى أرل قضاءؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشياء على	وجه معين أراده عملا
وبعضهم قد قال معنى الأول	العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الإيجاد للأمور	على وفاق علمه المذكور

(وكل مقدور) أى أمر قدره الله تعالى أى أبرزه إلى الوجود بما سبق فى سابق علمه وقضائه (فما عنه مفرا)، أى لابد من وقوعه على طبق ما أراد

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥

(٢) سورة الرمز: الآية ١٠

وعلم ولا محيص عنه، فيجب إذن الصبر والتسليم لما قدره العليم الحكيم، فإن لم يصبر وانقلب على وجهه فقد خسر الدنيا والآخرة من غير تخفيف عنه ولا ناصر ينصره.

وثمره الإيمان بالقضاء والقدر، الرضا، ويقول المؤلف في ذلك
فكن له مسلماً كي تسلماً ويقول شارحاً.

الرابع : الرضا، وهو الخروج عن رضا نفسه بالدخول في رضا ربه بالتسليم للأحكام الأزلية، والتفويض للتدبيرات الأبدية بلا إعراض ولا اعتراض وليه أشار بقوله مفرغاً على ما قبله (فكن) أيها الطالب لرضا مولاه (له) تعالى (مسلماً). في كل ما قدره وقصاه أو أمر به من أحكام الدين، أو نهى عنه بأن ترضى بذلك من غير إعراض ولا اعتراض (كي) أي لأجل أن (تسلماً) من آفات الدنيا والآخرة

ثم يبدأ الشيخ في الأصل الخامس معبراً عنه بقوله : واتبع سبيل الناسكين العلماء ويقول في الشرح :

الخامس : اتبع شيخ عارف، قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك، إلى أن ينتهي إلى رسول الله ﷺ، ومن لم يصحب شيخاً يدلّه على الطريق إلى الله واشتغل بما عده من عبادة أو علم فقد تعرض لإغراء الشيطان له وبهذا قيل من لا شيخ له فالشيطان شيخه، وبالجملّة من لم يسلك على يد شيخ عارف فلا يمكنه الترقى إلى منازل القرب، ولو أتى بعبادة الثقلين وعلامته السجاء، وحسن الخلق، والشفقة على خلق الله تعالى وعدم انكبابه على جمع الدنيا، وعدم الدعوى، ولو بالتكلم بمصطلح القوم إلا لأمر اقتضى ذلك وعدم الشكوى من ضيق الدنيا، أو عن إعراض الناس عنه، وأن يرى عليه محابيل الذل والانكسار، وحب الخمول وأن تظهر على أصحابه البركة والصلاح وهذا مأخوذ من قولنا (واتبع) في

سيرك (سبيل) أى طريق (الناسكين) جمع ناسك أى عابد (العلماء) جمع عالم، وهو العارف بالأحكام الشرعية لتى عليها مدر صحة الدين اعتقادية كانت أو عملية، والمراد بهم السلف لصالح ومن تبعهم بإحسان وسبيلهم منحصر فى اعتقاد وعلم وعمل طبق العلم، وافترق من جاء بعدهم من أئمة الأمة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فوق

(أ) فرقة نصبت نفسها لبيان الأحكام الشرعية العملية وهم الأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين لكن لم يستقر من المذاهب المرضية سوى مذاهب الأئمة الأربعة

(ب) وفرقة نصبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التى كان عليها السلف وهم الأشعرى والماتريدى ومن تبعهما

(ج) وفرقة نصبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقان المتقدمتان وهم الإمام أبو القاسم الجنيد ومن تبعه، فهؤلاء الفرق الثلاثة هم خواص الأمة المحمدية، ومن عددهم من جميع الفرق على ضلال، وإن كن البعض منهم يحكم له بالإسلام فالناجى من كان فى عقيدته على طبق ما بينه أهل السنة وقد فى الأحكام العملية إماما من الأئمة الأربعة المرضية، ثم تمام النعمة والنجاة فى سلوك مسلك الجنيد واتباعه بعد أن أحكم دينه على ما بينه الفريقان المتقدمان ممن سلك مسلكه، القطب الربانى الإمام سيدى أحمد بن الرافعى واتباعه، والقطب الربانى الإمام سيدى عبد القادر الجيلانى واتباعه، والقطب الربانى السيد أحمد البدوى واتباعه، والقطب الربانى السيد إبراهيم الدسوقي واتباعه، والقطب الربانى السيد على أبو الحسن الشاذلى واتباعه، والقطب الربانى سيدى محمد الحلوتى واتباعه، والقطب الربانى سيدى عبد الله النقشبندى واتباعه، فهؤلاء كلهم سادات الأمة المحمدية رضى الله

عنهم، وعذبهم، آمين/ فالشيخ الذي يدل على الله تعالى يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ من مشايخ الطريق، وتعب وجاهد نفسه حتى تهذبت وزلت عنها الرعونات البشرية وإلا فيجب اجتنابه فإن كثيراً من الناس من قلد إماماً من الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، ولكنه في عقائده زاغ عن اعتقادهم فلم يعتقد معتقد أهل السنة، وهم فرق شتى قد ضلوا في عقائدهم كالقدرية وغيرهم ومن الناس من لم يرض بتقليد إمام من الأئمة الأربعة ولا باعتقاد أهل السنة، وهم أضل ممن قبلهم، ومن الناس من يزعم أنه سالك طريق أهل الله تعالى، فيتزيياً بزيهم ويتكلم بما يوهم الناس أنه منهم، والحال أنه بطل يملأ بطنه من الطعام سواء كان حلالاً أو حراماً وليله من المنام، ويثب على الدنوب وثوب الأسد عني الفريسة وربما جعل نفسه شيخاً وله أتباع يصطادون له بشرى مشيخته قاذورات أحطام الفاسي ويزعمون أنهم على شيء، أولئك هم الكاذبون، وقد أشار لهم لعارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه بقول.

رضوا بالأماني وابتلوا بحفظهم

وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم

وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا

بل تأخروا ورجعوا القهقرى لأنهم تبعوا هوى أنفسهم والشيطان يقودهم إلى كل ما يحبه منهم كما قال.

وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ

هدى حسداً من عند أنفسهم ضلوا

حتى صار من أخلاقهم أن من تصدق عليهم بصدقة، أو أكرمهم بكرامة اتخذوا ذلك عادة وطلبوا بها من فعل معهم الإحسان، حتى يضيّقوا عليه المسالك، ويقولون. أعطنا عادتنا وإلا نتشوف عيبك، فيوهمون الناس أنهم أرباب أحوال وأن الله تعالى يصدقهم في المقال كلاً ما هذه طريقة الفقراء أهل الله إنما طريقتهم التواضع والانكسار، وحب الخمول والعفة والرهق والورع والإيثار والتوكل، وأما هؤلاء فهم أشرار الناس يأكلون أموال الناس بالباطل، ويدعون المراتب العلية وهم في الدرجات السفلية، وقد كثروا في هذا الزمان حتى ملئوا طباق الأرض في كل قطر ومكان. نعوذ بالله منهم، قل أستاذنا السيد البكر في ألفية التصوف

وقد بما في ذا الزمان شرهم حتى سما في الناس جدا ضرهم ولم يكن لهم هنا من يردع من أجل ذا الدين الحنيفي ودعوا، ولما نظر أهل الله إلى كثرتهم وكثرة فسدهم واختلال عقائدهم. أغلقوا أبواب زوايا الإرشاد وفوضوا الأمر إلى رب العباد، واختفوا في الناس فلم يعرفهم إلا من خصه الله بالأنوار لإلهية والسعادة السرمدية. فعلى من تشوقت نفسه إلى سلوك طريق التجريد حتى يستغرق في بحار التوحيد ملازمة التقوى والالتجاء إلى الله، والتوسل إليه برسوله ﷺ في أن يجمعه على شيخ عارف يربيه ويخرجه من الظلمات النفسية، ويصفيه ويسقيه من خمر المحبة ويصافيه، فإذا علم الله صدقك أطلعك عليه فإذا اجتمعت به فشد يدك عليه وكن كلييت بين يديه، وقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم خذ في الجد والابتهال وجد بنفسك لا بالمال.

كما قال :

فنافس ببذل النفس فيها أذا الهوى فبذا قبلتها منك يا حبيذا لبذل

ومن لم يجد في حب نعمي بنفسه ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

الأصل السادس :

السادس : الجوع اختياراً بالاً يأكل أكثر من أكلة خفيفة في يومه وليقله من الحلال وهو ما جهل أصله ولا يمكنه ذلك في ابتداء أمره إلا بكثرة الصوم فإنه لجام السائرين.

واعلم أن العمل ثمرة المأكول، فالأكل الحرام لا ينشأ عنه إلا أعمال خبيثة محرمة، والحلال الصرف لا ينشأ عنه إلا الأعمال الصالحة، والمتشابه ينشأ عنه أعمال مختلطة لا تخلو من الرياء والعجب والخواطر الرديئة

الأصل السابع :

السابع : العزلة عن الناس قاطبة إلا عن شيخه المربي له أو أخ صالح يعينه على الطاعة والهمة وإلا لضرورة بيع أو شراء، إذ مخالطة الناس تكسب القلب ظلمة لو فرض أنها تخلو عن ارتكاب المحرمات. فكيف، ولا يخلو مجلس عنها من غيبة أو نسيمة وغيرهما

ولبعضهم :

لقاء لناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

الأصل الثامن والتاسع :

عبر عنهما المؤلف بقوله :

وخلص القلب من الأغيار بالجد والقيام في الأسفار

الصمت إلا عن ذكر الله تعالى. فإن الكلام يوجب التفرق والمطلوب الجمعية وهذا عن تقدير محالطة اناس لضرورة، وهذه مأخذوة من قولنا «وخلص القلب من الأغياره» أي مما سوى الله تعالى من مال وزوجة وولد وجاه وعلم وعمل وغيرها من كل مشغل عن تعلق القلب بالرب.

(بالجد) بكسر الجيم أي الاجتهاد أي بسببه قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾^(١) والمجاهدة تكون بمخالفة النفس في هواها مع الخوف من الله تعالى بعد التوبة، قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴿١٦﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٢) أي جنة الشهود في الدنيا وجنة لخلود في لعنسى إلا أن شرط السير ألا يكون خائفًا من عذاب الله وألا كان عبد سوء لا يعمر إلا إذا خاف العقاب، بل يخافه إجلالاً ومهابة، ولذا قل تعالى ﴿وَلِمَنْ خَشِيَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾^(٣) ولم يقل عذاب ربه فافهم.

الأصل التاسع :

التاسع : السهر فلا ينام الثلث الأخير من الليل للتهجد والاستغفار وذكر الله تعالى وليه أشار بقوله. (والقيام في الأسحار) وخصه بالذكر وإن دخل فيما قبله لمزيد الاعتناء به.

وقد مدحهم الله تعالى في غير آية، قال تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا أَسْحَارَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٤) وللذكر في

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

(٢) سورة البارعات: الآية ٤٠

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤٦

(٤) سورة الذاريات: الآيتان ١٧، ١٨

ذلك الوقت تأثير أكثر منه في غيره.

العاشر : الفكر والذكر :

العاشر : التفكير في بديع صنع الله لإدراك دقائق الحكم لتزداد علماً وحباً والذكر قياماً وقعوداً واضطجاعاً على سبيل الدوام واليه أشار بقوله .
(والفكر والذكر على الدوام).

واعلم أن الذكر أعظم أركان الطريق لأن المعصود منها بخليص القلب مما سوى الله تعالى وهو أعظمها في ذلك، لأن كثرتة توجب استيلاء المذكور على القلب حتى لا يكون فيه سواه بل جميع الأركان تنشأ عنه، لأنه يورث القلب نوراً ساطعاً به يزهد الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة، ولذا قالوا :

«من أعطى الذكر فقد أعطى منشور الولاية»

فالمداومة عليه دليل ولاية المشتغل به، ولكونه أعظم الأركان وقع البحث عليه في القرآن المجيد أكثر من غيره من الأركان، قال تعالى .
﴿ فَادْكُرُوايَ أَدْكُرْكُمْ ﴾^(١)

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطِلًا مُّبْحَثًا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٢) .

وقال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٣)

(١) سورة البقرة الآية ١٥٢

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩١

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١

وقال تعالى ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

وقال تعالى ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَسْتَضِرُّوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلِمُوا﴾^(٢).
وقال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٣)
وقال تعالى ﴿وَالَّذِكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ لِلَّهِ﴾^(٤).

إلى غير ذلك، والذكر نوعان :

الأول . الذكر باللسان وهو شأن أصحاب البدايات، فيجب عليهم مواءمة الذكر باللسان مع تكلف الحضور بالقلب حتى يصير الحضور طبيعة له . ولا يتروك الذكر لوجود الغفلة فيه، فلرب ذكر مع غفلة يرفعه إلى الذكر مع الحضور، ولرب ذكر مع الحضور يرفعه إلى الذكر مع الغيبة عما سوى المذكور، فإذا غاب عما سوى المذكور استغرق في عين بحر الوحدة، فيصير القلب حينئذ بيت الرب تعالى فينشأ عنه الذكر من غير قصد ولا تدبر لامتزاجه بروحه وجسمه.

وأنواع الذكر اللساني كثيرة منها التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن وغير ذلك، وأسرعها إجابة للمبتدئ . لا إله إلا الله، مفردة عن محمد رسول الله على التحقيق فيما عدا الختم، فإذا أراد لختم ختم بها، وفي بعض الطرق الشاذلية : انه يذكرها على رأس كل مائة هذا إذا ذكر وحده، أما إذا ذكر مع جماعة فلا يذكرها إلا عند الختم، مع إخوانه، ولهذا درج أرباب الطرق المحمدية على الاقتصار عليها

(١) سورة الأنفال - الآية ٤٥

(٢) سورة الشعراء - الآية ٢٢٧

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٥

(٤) سورة الأحزاب . الآية ٣٥

فإذا كمل لسالك فالأفضل له أن يضم معها محمد رسول الله، والأفضل حينئذ الاشتغال بتلاوة القرآن ليتحقق به وتفاصيل عليه العلوم الدنية مع أسرارها، فإن لم يكن يحفظ القرآن اشتغل بسماعه ممن يقرؤه، وإن كان القارئ صاحب غفلة ويكون الأمر على حد قول العرف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه :

يا أخت سعد من حبيبى حبيبتنى برسالة أديتها بقلطف
فسمعت ما لم تسمعى ونظرت ما لم تنظرى وعرفت ما لم تعرفى
النوع الثانى : الذكر بالقلب وهو شأن أرباب النهايات، ومنه الفكر فى بدائع المصنوعات وأعظمها للمراقبة الآتى ببيانها

عمدة الأصول:

وبعضهم يعد الأصول أكثر من ذلك؛ وبعضهم يعدها أقر، وفى الحقيقة كلها أمور لا بد منها، وعمدتها الذكر والصدق فى التوجه بمخالقة النفس فى شهواتها، ومقاساة الصبر على يد شيخ كامل.

السالك والمعاصى :

يقول الشيخ عن السالك . مجتنباً لسائر الآثام
(مجتنباً) حال من فاعل خلص (لسائر) أى لجميع (الآثام) كبثرها وصغائرهما ظاهرهما كالقتل والزنا وشرب الخمر وأكل الحرام والغيبة والنميمة، والنظر إلى محرم، وغير ذلك، وباطنها . كالحسد والحقد والغرور والرياء والعجب والكبر والبخل والنفاق وحب الجاه ولرياسة

مراقبة الله :

(مراقباً لله فى الأحوال) أى جميع أحوالك، فإنك بالمراقبة ترتقى إلى المشاهدة وبالمشاهدة ترتقى إلى المعاينة.

والمراقبة ملاحظة الحق تعالى عند كل شيء مثلاً إذا لاحظته حال قصد النفس الوقوع في المعصية، وجدته تعالى مطلقاً عليك، فترجع عنها حياءً منه، وإذا لاحظته حال أكلك وجدته تعالى هو الذي ساق إليك ذلك الطعام من غير حول منك ولا وقوة لك، ثم وجدته حرك يدك إلى تناوله وجعل فيك القدرة على رفعه لفمك، ثم حرك فمك وأجرى فيه الريق، ثم خلق فيك قوة اللذة فساقه إلى المعدة، ثم رتب على ذلك قوة في جسمك، ورباك فجعل منه للحم نصيباً وللعظم نصيباً وللعصب نصيباً وما فضل مما لا منفعة فيه أخرجه، فتعلم بذلك أنه لا فاعل سواه. فإذا قوى هذا المعنى فيك سمى وحدة الأفعال وصرت مشاهداً لله في كل شيء، فإذا قويت هذه المشاهدة حتى غابت عما سوى الله سميت معاينة ووحدة الذات فإذا زاد التمكين شاهدت بعد ذلك أنه خالق لعبده وما عمل، وهذا معنى قولهم مشاهدة الله قبل كل شيء. وهذه أمور ذوقية من وراء طور العقل لا يعرفها إلا أهل العناية والنفوس القدسية رضى الله عنهم، وعنا بهم.

من آداب السالكين :

ومن آداب هذه الطائفة اتى يحصر بها لكمال ملازمة الطهارة والنوم عليها وعدم كشف العورة المغلظة في الخلوات حياءً من الله ومن املائكة، ومنها: توقير الكبير، والشفقة على الصغير، والأراامل والمساكين، بل على جميع الخلق.

ومنها: الأدب مع أهل العلم خصوصاً خدمة الشريعة، ومشايخ الطريق، فإنهم ورثة الأنبياء.

ومنها: أن لا يزور أحداً من الصالحين مادام تحت التربية قبل الكمال خوفاً من أن يرى كرامة أو خلقاً في أحدهم لم يره في شيخه فيعتقد في شيخه المقص فيحرم مدده.

ومنها سوء الظن بنفسه، وحسنه بغيره حتى يرى أن كل أحد أحسن منه حالاً.

ومنها أن لا ينتصر لنفسه في أمر.

ومنها أن يرى عبادته دائماً قد دخلها الخلل من الرياء والخطور الردية، ومثلها يستحق عليها لعقاب لولا مسامحة الله تعالى له فيستغفر من عبادته، ومن استغفاره

ومنها أن لا يتكلم بكلام العارفين من الفرق والجمع والفناء والبقاء ما لم يكمن على أن الأولى للكامل ترك ذلك إلا بحاجة تقتضي ذلك

ومنها محاسبة النفس على ما ارتكبه من المحرمات والمكروهات وفضول المباحات، وعلى ما وقع في نفسه من الخواطر النفسانية والشرطانية والاستغفار منها

والفرق بين الخاطر النفساني والشرطاني أن الأول يكون بالحاح على المعصية أو الشهوة كالطفل الذي يلح على أمه حتى تعطيه ما يريد فيجب قمعها عن ذلك بملازمة الذكر وبيان عاقبة هذا الأمر والتوجه إلى الشيخ

والثاني يكون من غير إلحاح بل يأمر بالمعصية ويزينها فإن طوعه الشخص وإلا انتقل لآخر لأن قصده الغواية على أي حالة تكون لا معصية بخصوصها.

وأما الفرق بين الخاطر الرباني والباطني الملوكي أن الأول ما فيه تنبيه على الخير من غير حث ولا يؤدي إلى حيرة

والثاني ما فيه حث على الطاعة

لترتقى معالم الكمال، وقل بذل: رب لا تقطعني عنك بقاطع

ومنها مدح أعدائه وعدم التكدر من ذكرهم والدعاء لهم بالمغفرة والتوفيق.

ومنها: الدعاء لعصاة المؤمنين كذلك.

ومنها. مطالعة كتب القوم ليتعلم منها الأدب، ويعرف منها حال أهل الله تعالى فبالآداب ترتقى إلى مقام الأحاباب، وأنشدنا شيخنا.

م وهب الله لامرئ هبة أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن عدما فإن فقد الحياة أجمل به

فإذا جاهدت النفس بما مر. هان عليها إن شاء الله تعالى الخلوص من ظلمة الأغيار، وتبدلت صفاتها لمذمومة بالصفات المدوحة فيخلق الحق تبارك وتعالى عليك خلق الأخلاق المحمدية. من الحلم والعلم والشفقة والرأفة والخضوع والزهد والورع والسخاء وغير ذلك من مكارم لأخلاق، كما أشرت إلى ذلك بقولي (لترتقى معالم الكمال) أي إلى معالم هي الكمالات وهي الأخلاق المحمدية وحينئذ يكون هذا العبد خليفة الله في أرضه.

علامة صفاء القلب :

وعامة زوال الرعونات البشرية من القلب والتحلى بالأخلاق المرضية أن يستوى عنده المدح والذم والمنع والإعطاء وإقبال الناس عليه وإدبارهم بل يرجح الذم والمنع والإدبار على مقابلها، (وقل) متضرعاً إلى ربك قولاً ملتبساً (بذل) فإن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم يا (رب لا تقطعني، عنك بقاطع) من كل فتنة يشتغل القلب بها عن العبودية من حب المال والولد والجاه والشهوات ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(١)

ولا تحرمني من شرك الأبيهي المزيل للعمى.

﴿ زَيْنَ لِسَانِي حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْتِنِينَ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

(١) سورة التغابن. الآية ١٥

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَمَ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٠﴾
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَمَسُوا لَا فَلَهِمْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١١).

بعض القواطع عن الله :

ومن القواصع الكبر والحقد والرياء والعجب

ومنها العبادة لأجل حصول ثواب أو حصول فتح لدنى ليكون من أولياء
الله، وإنما شأنهم أن يعبدوا الله تعالى لذاته وامتنالاً لأمره ونهييه، ثم إن
حصل لهم فتح فذلك من فضله وإن حجبوا فذلك من عدله، إذ ليس للعبد
على مولاه حق، وإنما الحق له تعالى على العبد فالعبد مطلوب بأن يخلص
نفسه من الرعونات النفسية، وليس على الله تعالى أن يهبه المعارف
القدسية، والذي يعبده لذلك معدود عندهم من عبيد السوء الذين إذا لم
يؤجروا لم يعملوا وهذا ينافي كونه عبداً محضاً، قال العارف بالله تعالى ابن
عطاء الله السكندري في الحكم :

«تشوفك إلى ما بطن فيث من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك
من الغيوب»

لا يقال إذا كانت العبادة لأجل الفتح من القواطع فكيف يصح أن تأمره
بطلبه بقولك: وقل بذل رب لا تقطعني، عنك بقطع.

لأننا نقول طلب الفتح من فيض فضل الله تعالى، لا في مقابلة شيء، لكن
مع الاستقامة أمر مطلوب شرعاً كطلبك منه سعة الرزق وصحة البدن

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤

(٢) سورة المطفون : الآية ٩

والشفاء من الأمراض الحسية، ألا ترى أنه أوجب عليك طلب الهداية في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة في قوله تعالى:

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

وطلب منك ندباً غير ذلك في الوافل كثيراً بلا حد، وهذا غير العبادة لأجر حصول شيء، فإنها ليست طريقاً لمقربين، فافهم

النور الإلهي:

(و) قل بذل يا رب (لا تحرمني) بفتح التاء من حرم أو بضمها من أحرَمَ بمعنى منع، أي لا تمنعني (من) إعطاء (سرك) المراد به النور الإلهي الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل في نفس الأمر المشار إليه بقوله تعالى ﴿ يَتَنَبَّهَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَبَّهُوا آلَاءَ اللَّهِ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾^(١).

أي نوراً في قلوبكم تميزون به بين الحق والباطل على ما هو عليه في نفس الأمر.

(الأبهى) أي الأنوار من كر نور، فإن علم اليقين وهو معرفة الأشياء بالبرهان نور وأنور منه حق اليقين، وهو معرفتها بالمشاهدة من غير مخالطة وممازجة، فليس من استدل على وجود نار برؤية الدخان كمن شاهدها على بعد وليس من شاهدها كمن خالطها وعلم وقودها وما هي عليه:

(المزيل للعمى) يعني الجهل.

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٩

فائدة الدعاء :

وفي كلامه إشارة إلى أن الدعاء ينفع وهو مما لا شك فيه عند أهل الحق؛ وانقرآن العظيم مشحون به وهو في السنة أكثر من أن يحصى خلافاً للمعتزلة.

ويجب ألا يكون بسمتنع عقلاً أو شرعاً أو عادة

وينبغي أن يكون مصاحباً للذل والانكسار، وأن يكون في الأوقات الشريفة كالأسحار وعقب الصلوات، والأل يكون فيه تحجير على الله تعالى كأن يسأل قضاء حاجة بخصوصها في هذا الوقت بعينه مثلاً ما لم يشتد الكرب كالخلاص من ظالم مثلاً.

ثم إن الدعاء في ذاته هو مخ العباداة، لأن فيه إظهار الفقر والفاقة إلى الله تعالى، وأن الله هو الغنى القدر على كل شيء وإن لم تحصل استجابة.

وعدم حصول الإجابة إما لتحلف شرط، وإما لعلم الله أن عدم الإجابة خير له، أو غير ذلك

اللهم حسن الخاتمة :

(و) قل بذل يا رب (اختتم) لنا أعمالنا وأحوالنا وأعمارنا (بخير) حتى لا نقبضنا إليك إلا على أتم حالات التوحيد على شوق إليك ورغبة فيك وأقبض أرواحنا بيدك، وبدل سيدتنا حسنات، وخذ بأيدينا عند العثرات، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع لشاهدين

(يا رحيم) أي يا أرحم (الرحم) فيه إشارة وتلميح إلى قوله ﷺ
«الراحمون يرحمهم الرحمن، تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم

من هي السماء»^(١)، ولا يخفى ما في الكلام من حسن الاختتام، هذا وأقول متمثلاً بقول صاحب البردة:

استغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلاً لذي عقم
أمرتك الخير لكر ما ائتمرت به وما استقممت فما قولى لك ستقم
نعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ومن الطمع فى غير
مطمع، وجُهننا إليك مطايا الآمال فلا تحرمنا لذة الوصال، واحملنا على
مطايا التوفيق، واسلك بنا أنفع طريق، إنك أنت الجواد الكريم الرؤوف
الرحيم

ولما كان تأليف هذا الكتاب والإقذار عليه من نعم الله تعالى، وكان شكر
المنعم واجباً ختم كتابه بحمد الله تعالى بقوله

(والحمد لله على الإتمام) لهذا الكتاب، ولما كانت كل نعمة وصلت إلينا
ولاسيما نعمة علم التوحيد فهي بواسطته عليه الصلاة والسلام وجب عليه
أن يصلى عليه ﷺ بقوله:

(وأفضل الصلاة والسلام) أى وأعظم أنواع النعم والتحية من رب البرية
(على النبى)، 'أى المخير عن الله تعالى بطلب التوحيد وعبادة لواحد العدل
فى جميع الأمور بما يؤول إليه عاقبة أمر الممتثل، وعاقبة أمر المخالف
(الهاشمى) نسبة لهاشم جد أبيه عليه الصلاة والسلام (الخاتم) أى المتمم
للأنبياء والمرسلين

(و) على (آله) 'أى أتباعه (و) على (صحابه) عطف خاص على عام
(الأكارم) جمع أكرم، فقد جادوا بأنفسهم فى نصرة الله ورسوله مع
ما اشتملوا عليه من الأخلاق الحسنة والرأفة والرحمة، محمد رسول الله

(١) متفق عليه

ولذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدًا يبتغون فضلاً
من الله ورضواناً وينفخون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون، رضى الله عنهم وعنا بهم آمين وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين

أنها مؤلفه عفا الله عنه فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين
ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
آداب الطريق :

أما عن آداب الطريق فإن الشيخ رضى الله عنه كتب كثيراً فى متناثرات
هنا وهناك، ثم اختصه برسالة لطيفة سماها تحفة الإخوان فى آداب
الطريق، وهذه الرسالة تنقسم إلى قسمين القسم الأول فى آداب الطريق
عمامة، أما القسم الثانى فإنه خاص بالطريقة الخلوتية ونحن هنا نذكر
القسم الأول إنه يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقى واعتمادى

الحمد لله الذى طهر قلوب أحبائه من ظلم الأغيار^(١) ونور بصائرهم
بلطائف المعارف ولوامع الأسرار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد
أفضل الأخيار وعلى آله وأصحابه وأمة السادة الأبرار

وبعد - فهذه نبذة لطيفة فى بيان السير إلى الله الواحد القهار جعلتها
تبصرة لإخوانى، وتذكرة لخلانى، نفعى الله تعالى وإياهم بأهل محبته
وسقانى وإياهم كؤوس مودته.

اعلم يا أخى . أن الطريق عزيزة لا يهتدى فيها سوى المختار

وطريق القوم هى تقوى الله تعالى التى أمرنا بها فى كتابه العزيز على
لسان نبيه ﷺ، ورتب عليها سعادة الدارين وحصول المعارف والأسرار

(١) الأغيار: كل ما سوى الله

الإلهية والتكفل بالرزق من غير مشقة، وحكم سبحانه وتعالى أن كل من تمسك بها أكثر من غيره كان عند الله أكرم، واتقوا الله ويعلمكم الله تعالى.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُفُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ ^(١)

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾﴾ ^(١)

﴿إِنْ كَرَّمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَدُّكُمْ﴾ ^(٣)

وانظر إلى قوله تعالى «أتقاكم» وم يقل أعملكم ولا أنسبكم ولا أصحابكم ولا أجعلكم إلى غير ذلك.

وفسر العلماء التقوى بأنها امتثال الأمر واجتناب النهي، وقد أمر الله تعالى بأعمال باطنية تتعلق بالقلب وأعمال ظاهرية تتعلق بالجوارح الظاهرة، ونهانا عن أمور باطنية وأمور ظاهرية

فالباطنية التي أمرنا بها الإيمان بالله ورسوله، وهو تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به مما علم من الدين بالضرورة، والإسلام وهو إتيان القلب وخضوعه لقبول الأحكام الشرعية، والرضا بالقضاء والقدر ولتسليم لله تعالى والصبر على البلوى، واعتقاد أن كل نعمة عليك فهي منه تعالى، والاعتماد على الله تعالى في جميع الأمور، وحسن الخلق والتواضع، والخضوع وال خوف والرجاء في الله تعالى والإخلاص في العمل لله تعالى، وحب الله تعالى ورسوله وأوليائه، وبغض أعدائه من حيث إنهم أعداؤه وكف النفس

(١) سورة الحديد : الآية ٢٨

(٢) سورة الطلاق الايتان ٢ ، ٣

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣

عن اتباع الهوى والشهوات، وصحبة العبد لأخيه ما يحب لنفسه،
ومحاسبة النفس على ما وقع منها من المخالفات

والباطنية - التى نهانا عنها الكبر والعجب والرياء وحب المحمدة
والسمعة وحب الرياسة ولجاء والتفاخر ولحقه والبخل واحسد وهو تمنى
زوال نعمة الغير عنه والمكر والشح وضد جميع ما تقدم^(١)

وأما الظاهرية التى أمرنا الله بها فشهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمدًا عبد الله ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت
للمستطيع، وجميع الفروع المتعلقة بها وببقية الأحكام لمذكورة هي الفقه.

وأما الظاهرية - التى نهانا عنها فكثيرة.

منها، فعل الرنا وشرب الخمر وأكل أموال ناس بالباطل وقتل النفس
وأذية الناس.

ومنها، الغيبة والسب والطعن فى الأعراض وما يتعلق بذلك
كله بما بينه الشرع الشريف، فمن لم يتمسك بذلك فليس بمتق،
ومن يتمسك بها كان من المتعين وفتح له من التقوى معرفة الله عز
وجل على الوجه الخاص عند أهل الله تعالى، والأسرار الإلهية
والمكاشفات الخفية

ولما رأى، أهل الله تعالى أن التمسك بالتقوى على الوجه الأكمل
لا يتيسر للنفس إلا بأصول وآداب، شرطوا على من أراد أن يتمسك بها
تلك الأصول والآداب فالأصول ستة

أولها، الجوع ولكن المبتدئ لا قدرة على ذلك غالبًا فيلزم الصوم فى
ابتداء أمره حتى ترتاض النفس على ذلك (وهى الحديث)

(١) مما أمرنا الله به

«يكفى ابن آدم من الطعام لقيعات يقمن صلبه»

أو كما قال، فبالجوع تنكسر النفس: والله عند المنكسرة قلوبهم
والثانى، العزلة عن الخلق إلا لضرورة من علم أو بيع أو شراء لمن
احتاج لذلك.

والثالث، الصمت ظاهراً وباطناً إلا عن ذكر الله تعالى
والرابع، السهر للذكر والفكر وأقله من ثلث الليل الأخير إلى طلوع
الشمس، فعلم أن من شأنهم ترك فضول الطعام والكلام والنام
والخامس، دوام الذكر الذى لقنه له شيخه لا يتجوزه إلى غيره
إلا بإذنه والأولاد المخصوصة بطريق شيخه

والسادس، الشيخ الذى سلك طريقهم وعلم ما فيها
وأما الآداب، فهى كثيرة جداً فنقتصر منها على المهمات. بعضها يتعلق
بحق الشيخ، وبعضها يتعلق بحق الإخوان الذين معه فى الطريق، وبعضها
يتعلق بحق العامة، وبعضها آداب تتعلق بحق الشخص فى نفسه، وبالثانى
نذكرها يتيسر له إن شاء الله تعالى معرفة ما لم نذكره

فآداب التى تطلب من المريد فى حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره
ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه فى أى شىء فعله ولو كان ظاهره أنه
حرام ويؤول ما أنبههم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من
الصالحين فلا يزور ولياً من أهل العصر، ولا صالحاً إلا بإذنه، ولا يحضر
مجلس غيره إلا بإذنه، ولا يسمع من سواد حتى يتم سقيه من ماء سر
شيخه، وخطابى بهذا للصادقين المجدين المهتمين لا كل من تلقن الذكر
عليه فهو مخطئ ويعلم من ذلك أنه ليس بشيخ فى طريق أهل الله
ومنها، ألا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرتة، لا بإذنه فى محل
الضرورات ككونه معه فى مكان.

ومنها، ألا يكثُر الكلام بحضرته ولو بواسطة، ولا يجلس على سجاده، ولا يسبح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعد له، ولا يلح عليه في أمر، ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه، ولا يمسك يده لسلام مثلاً ويده مشغولة بشيء، كقلم أو أكل أو شرب بل يسلم بلسانه وينتظر بعد ذلك ما يأمره به، وألاً يمشي أمامه ولا يساويه في مشي إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوتاً له من مصادفة ضرر، وألاً يذكره بخير عند أعدائه خوفاً من أن يكون وسيلة لقدحهم فيه

ومنها أن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحظه بقلبه في جميع أموره سراً وحضراً لتعمه بركته.

ومنها ألا يعاشر من كان الشيخ يكرهه أو طرده الشيخ عنه وبالجملة يحب من أحبه الشيخ ويكره من يكرهه الشيخ.

ومنها أن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته.

ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنه ولا يقول لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بي كذا، وإلا لم يكن مسلماً له قيادته إذ من أعظم الشروط تسليم قيادته له ظاهراً وباطناً. أخاطب بذلك أهل الله الصادقين.

ومنها، أن يجعل كلامه على ظاهره فيمثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر فإذا قال له قرأ كذا أو صل كذا أو صم كذا وجب عليه المبادرة، وكذا، إذا قال له وهو صائم أفطر وجب عليه الفطر أو قال لا تصل كذا إلى غير ذلك.

واعلم أن الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفف عليهم العبادة، فإذا شم منهم رائحة الصدق والاجتهاد، ربما شدد عليهم وأعرض عنهم، وأظهر لهم الجفو لتعوت أنفسهم عن الشهوات وتغنى في حب الله تعالى، وربما اختبرهم هل يصدقون معه أم لا؟

ومنها ملازمة الورد الذى رتبته، فإن مدد الشيخ فى ورده الذى رتبته فمن تخلف عنه فقد حرم المدد: وهيهات أن يصح فى الطريق ومنها ألا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة وعادة فإن فى ذلك هلاكه والله أعلم.

وألا يدخل عليه فى خلوة بلا بإذنه، وألا يرفع الستارة لتي فيها الشيخ إلا بإذنه وإلا هلك كق وقع لكثير، وألا يزوره إلا وهو على طهارة. لأن حضرة الشيخ حضرة الله، وأن يحسن به الظن فى كل حال، وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله فإنها المقصودة بالذات ومحبة الشيخ وسيلة لها، وألا يكلفه شيئاً حتى لو قدم من سفر لكان هو الذى يسعى ليسلم عليه ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه، وفى هذا القدر كفاية والموفق يقيس ما لم يقل على ما قيل

وأما الآداب التى عليه فى حق إخوانه :

أن يكون محباً لهم كبيرهم وصغيرهم، وألا يخصص نفسه بشيء دونهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن يعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويبتدئهم بالسلام وحلاقة الوجه، وأن يراهم خيراً منه، وأن يطلب منهم الرضا عنه، وألا يزاحمهم على أمر دنيوى، بل يبذل لهم ما فتح عليه به، وأن يوقر الكبير ويرحم الصغير، ويعضدهم على ذكر الله، ويتعاون معهم على حب الله، ويرغبهم فيما يرضى الله، كافاً عن عيوبهم، مسامحاً لهم فيما وقع منهم وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه ظاهراً وباطناً، لا يعاتبهم على شيء صدر منهم، يعادى من يعاديههم، ويحب من يحبهم، ويرشدهم إلى الصواب إن كان كبيراً ويتعلم منهم إن كان صغيراً، ولا يوسع على نفسه وهم فى صيق، ويخدمهم ولو بتقديم النعال لهم، وأن يكون بشوشاً لهم فى مخاطبته ومجاوبته

وأما الآداب التي تتعلق به في حق نفسه :

فأن يكون مشغولاً بالله زاهدٌ فيما سوى الله، يحب كل ما أحبه الله ويكره كل ما نهى عنه موله، غاضاً طرفه عن المحارم، كريماً سخياً ليس للدنيا عنده قيمة، تاركاً لفضول الحلال كالتوسعة في الأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب مقتصراً على قدر الكفاية إذا سافر لا يشتغل بسوى الضرورات، مديم الطهارة فإنها نور، لا ينام على جنابة ولا يفضى بيده إلى عورته إلا في الضرورة مثل استنجاء أو غسل، ولا يكشف عورته ولو بخلوة في ظلام، ولا يطمع فيما في أيدي الناس، يفرح لإعراضهم عنه أكثر من إقبالهم عليه، يحاسب نفسه على الدوام، ويداوم على ذكر الله سرّاً وجهراً، ولا بد من مجلس لنفسه يذكر فيه الاسم الذي تلقنه بهمة ونشاط، يوبخ نفسه ويحثها على السير كلما وقفت، ولا يأكل إلا حلالاً وهو ما جهل أصله. وأكل الحلال منشأ كل خير، وأكل لحرام لا ينشأ منه إلا المعاصي واسوداد لقلب، وأكل الشبهات لا ينشأ منه إلا أفعال مشوبة بالرياء والكبر، ويكابد نفسه ويكفها عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والأحداث إذ كل ذلك قواطع من الله تسد باب الفتح أجارنا الله من ارتكابها.

ومنها، أن يأخذ بالأحوط في العبادة، ولا ينتظر بذكره وعبادته ثواباً ولا فتحاً وإنما يعبد الله لا يرجع عن ذلك فتح عليه أم لا، وأن يكون متواضعاً لله، نظيفاً في ظاهره وباطنه، صابراً شاكراً عابداً ناسكاً، لكنه لا يشتغل إلا بأوراد الطريق وبأذن له الشيخ. خائفاً من الله، راجياً عفوه عنه، لا يرى لعبادته ولا ذكره وجوداً، بل يرى أنه يستحق العقاب لولا فضل الله عليه وذلك لما يحصل فيها من رياء وسمعة. فإن ارتقى للإخلاص والحضور خاف رؤية ذلك إذ هي من القواطع، فإن ارتفع إلى الفناء عن رؤية الإخلاص لم يشاهد حينئذ إلا أن الفعل من الله فلم يكن له إيجاد،

وإنما له مجرد اختيار وكسب بمعنى مقارنة قدرته المخلوقة لهذا الفعل المخلوق، فلا ينسب فعل للعبد إلا من هذه لجهة فقط، ومخاطبة العبد بأفعلوا ولا تفعلوا إنما هو عند الله سدل الحجاب ورؤيتهم أنهم الفاعلون، فالمعتزل حجاب كئيف، والسني تأمل فعرف الحق بالدليل، والولي شاهد لما ارتقى إلى عين اليقين، وأما الجبري فقد أعرض عن تلك النسبة المتقدم ذكرها بالكلية، فوقع في جهل عظيم يلزمه لزوماً بيئاً تكذيب الرسل، فافهم هذه المسألة فكم وقع فيها من جهابذة وفحول

ومنها، أن يكون تواباً عن الخطرات والهفوات حتى يرتقى إلى مقام المتطهرين

ثم لا يستحق الطرد إلا بدم اشيع وطريقته، أو بقلة احترامه للشيخ أو لعدم حضوره مجلسه من غير ضرورة، وتكرر ذلك منه والشيخ ينهأه، أو بتركه الفرائض كالجمعة أو كجمع الصلاة مع الأخرى اختيئراً أو تكرر منه ذلك، أو بتأمره على الشيخ أو بمجادلته، ثم إذا طرده هي الحقوق لا يطرد بالقلب بل في الظاهر لأنهم لا يحبون إتلاف الإنسان إلا إذا خرج عن دين الإسلام والعياذ بالله

وأما الآداب - التي في حق العامة

فالتواضع، وبذل الطعام، وإفشاء السلام، والصدق معهم في جميع الأحوال.

وأكثر ما تقدم من الآداب المتعمقة بالإخوان يجرى هنا والله أعلم وفي هذا القدر كفية لكن لا بد للمريد من مطالعة كتب القوم الموضوعة في الآداب ليتعلم أخلاق القوم منها فيسأيرهم وذلك ككتب سيدنا عبد الوهاب الشعراني رضى الله عنه كالعهود والمنن وغير ذلك، وككتب سيدنا مصطفى البكرى رضى الله عنه، وكالإحياء للغزالي ومختصره، وكالحكم لابن عطاء الله، والتنوير في إسقاط التدبير له، وكرسالة

القشيري، وكالسير والسلوك، وغير ذلك، وحاصل ما هنالك أن طريق القوم سداها هذه الآداب ولحمتها الذكر فلا يتم نسجها إلا بها.

وللذكر آداب لابد من ملاحظتها. أن يكون على طهارة كاملة من الحدث، وأن يستقبل لقبلته إن كان وحده وإلا تحلقوا فإن ضاق بهم المكان اصطفوا، وأن يستحضر شيخه ويلاحظه، ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب، وأن يفرغ قلبه عما سوى الله حتى لا يطلب دنيا ولا ثوبا ولا ترقيا وإنما يذكر الله حبا في الله كما قال

أحبك لا لي بل لأنك أهله وما لي في شيء سواك مطامع

وأن يغمض عينيه لأنه أسرع في تنوير القلب، وأن يكون المكان مظلماً حتى لو كان هناك سراج أطفأوه وأخرجوه إن كانوا في خاصة أنفسهم، وأن يذكر بهمة تامة ويميز برأسه إلى الجهة اليمنى بلا، ويرجع بآله إلى جهة صدره، وبإلا الله إلى جهة القلب وهي اليسار وينتعبها من سرتة إلى قلبه حتى ينزل الجلالة على القلب لتحرق سائر الخواطر الرديئة، ويحقق الهمزة ويمد الألف مداً طبيعياً أو أكثر، ويفتح الهاء من إله ويسكن لهاء من الله، وكذلك الاسم الثاني وهو الله، وكذا بقية الأسماء فينتعبها من سرتة وينزل بها على قلبه، وأن يصفى حالة الذكر إلى قلبه مستحضراً للمعنى، حتى كأن قلبه هو الذكور وهو يسمعه، ولا يختم حتى يحصل له نوع من الاستفراق بأن يحس من نفسه بحلاوة الذكر. ويحصل له شوق وهيمان، ثم إذا ختم سكت وعكن واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه مترقباً للوارد المذكور فلعله يرد عليه وارد في لمحة فيعمر وجوده ما لم تعمره المجاهدين ثلاثين سنة، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو كشف أو محبة أو غير ذلك فإذا سكت وسكن وكنتم نفسه مراراً دار الوارد في جميع هواله.

قال الإمام الغزالي، ولهذه السكينة ثلاثة آداب، مراقبة الله حتى كأنه بين يديه وأن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال لهرة عند اصطياد الفأرة، وأن يزم نفسه مراراً حتى يدور الوارد في جميع عوالمه ويجرى على قلبه معنى الله

ومن آداب الذكر تطيب المكان والبدن والغم وبعد الروائح الكريهة لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة فيانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالذوق.

ومن الآداب المؤكدة عدم شرب الماء أثر الذكر، أو في أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات الواردات، وشرب الماء يطفى تلك الحرارة وأقل ذلك أن يصبر نحو نصف ساعة فلكية، وكلما أكثر كان أحسن حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية، هذا ما يتعلق بطريق القوم على العموم.

ثم يتحدث الإمام بعد ذلك في رسالة المذكورة عن أمور اختصت بها فيما يرى الطريقة الخلوتية.

الفصل الخامس

أوراد سيدى أحمد الدردير

بين يدي الأوراد

يبدأ ورد سيدي أحمد بالمسبحات، وتبتدئ المسبحات بـ

١ - الفاتحة : والفاتحة هي الفاتحة لكل مغلق، إنها تفتح الأبواب وتفتح الأقفال بإذن الله. وهي أم القرآن، وهي الشافية، وهي الكافية، وهي الواقية، وهي النور، وهي الشفاء.

وقد ورد فيها من الأحاديث قول الرسول ﷺ لأبي بن كعب.

أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟

قال أبي : نعم . .

فقال ﷺ : «ما تقرأ في الصلاة» .

قال : فقرأت عليه أم القرآن.

قال . «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»^(١).

وروى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري قال

«كنا في مسير لذي وجاءت جارية فقالت إن سيد الحي سليم الدغ وإن نفرنا غيب فهل منكم رقي فقام معها رجل ما كنا نأبه برقيه، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثة شاء وسقاه لبنا، فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية؟ أو كنت ترقى ؟

(١) رواه أحمد وغيره

قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب.

قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتى ونسال رسول الله ﷺ

فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال:

«وما كان يدريه أنها رقية، اقسعوا واضربوا لي بسهم»

وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس قال:

«بينما رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضاً^(١) فوقه، فرفع

جبريل بصره إلى السماء فقل:

هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ

فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب

وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته.

٢ - ثم. ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْإِنْسِ ﴾

٣ - ثم. ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

وقد ورد فيهما ما رواه مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول

الله ﷺ:

«ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الْإِنْسِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾

وفي رواية لأحمد عنه قال:

«أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة».

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال:

(١) أى صوتا كصوت الباب إذا فتح

«إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما.

٤ ثم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وقد ورد فيها عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال سلوه لأى شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»^(١)
وروى أحمد بسنده عن أنس قال:

«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب هذه السورة. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة».

٥ ثم ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه

«اقرأ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك».

٦ ثم آية الكرسي وقد ورد فيها عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأل أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قال الله ورسوله أعلم، فرددها مرارا ثم قال: «آية الكرسي».

قال: ليهنك العلم أبا المنذر.

وروى الحاكم - بسنده - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال -
 «سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ فى بيت فيه شيطان
 إلا خرج منه : آية الكرسي»

وروى الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت
 «سمعت رسول الله ﷺ يقول فى هاتين الآيتين. ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ
 الْقَيُّوْمُ ﴾ و ﴿ اَلَمْ يَلَمْ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ اَلْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ﴾ ان فيها
 اسم الله الاعظم

٧ - ثم سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد قال كثير من الصحابة عنها إنها المعنية
 بكلمة الباقيات الصالحات فى الآية الكريمة.

﴿ اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيٰتُ الصّٰلِحٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ
 رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ اَمَلًا ﴾^(١)

٨ - ثم الصلاة على الرسول ﷺ كما وردت فى «التحيات» وهى أفضل
 صلاة على رسول الله ﷺ، فقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ كيف نصلى
 عليك؟ فقل قولوا اللهم صل على محمد وأرواجه وذريته كما صليت على
 إبراهيم، وبارك على محمد وأزوجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم،
 إنك حميد مجيد»^(٢)

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة على رسوله ﷺ فقال
 ﴿ اِنَّ اِلٰهَ وَاَمَلَيْتَكُمْ هُمْ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا ﴾^(٣)

(١) سورة الكهف : الآية ٤٦

(٢) رواه أحمد وأصحاب الكتب سوى الترمذى

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٦

٩، ١٠ - ثم يتلو ذلك الدعاء بعد أن مهد له كل ذلك، وأوجد جواً مناسباً للاستجابة، ويتلو المسبحات بعض الأدعية الجميلة التي يستمتع القارئ بقراءتها، وتكاد تكون كلها من المأثورات

ثم ينطلق المؤلف من قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)

ينطلق منها إلى الصلاة على رسول الله ﷺ.

والقسم الثاني من أوراد سيدي أحمد هو الصلوات على رسول الله ﷺ، وهذه الصلوات ألوان شتى كلها جميلة منها

١ - الصلاة البهينة على رسول الله ﷺ مثل

اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله.

أو :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد كمال الله وكما يليق بكماله.

أو :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك، عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك.

٢ - الصلاة على الرسول ﷺ مع ذكر صفة من صفاته الكريمة، مثل :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الناطق بالصدق والصواب، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦

٣ - ومنها الصلاة على الرسول ﷺ مع ذكر دعاء يتعنى المصلى حصوله، مثل:

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِقَدْرِ عِظَمَةِ ذَاتِكَ.

فصل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم بقدر عظمة ذاتك

واجعلنى من خاصة المحبوبين لديه

وعطفه على.

اللَّهُمَّ آمِينَ.

اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وهب لنا قلباً شكوراً

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد واجعل سعيينا مشكوراً.

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ولقنا نضرة وسروراً.

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد واسلك بنا سبيل الرشاد

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وابقنا بك لابنا فى جميع

اللحظات

٤ بيد أن الصورة التى نريد أن ننبه إليها هى صورة الصلاة على

رسول الله ﷺ التى هى صلاة وعبادة، وهى تتضمن فى الوقت نفسه

توجيهاً فى إصلاح النفس، وإصلاح المجتمع

وهذا لنوع من الصلاة كثير عند 'نمتنا منه فيما يتعلق بالإمام الدردير،

قوله.

١ - اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد القائل:

«إنما الأعمال بالنيات»^(١).

(١) متفق عليه

﴿ رَبَّنَا مَتَّابِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا لِرَسُولٍ فَكَتَبْتَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١)
«اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به
مننا».

«اللهم أرنا الحق حقاً فننتبه، وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه برحمتك
يا أرحم الراحمين».

والحق أن الصلاة على رسول الله ﷺ تلبي في المجتمع حاجات
كثيرة إنها عبادة، وهي عبادة من أكرم العبادة على الله
وهي تكميل للنقص في الفرد حينما تكون مصحوبة بدعاء يخص
الداعي.

وهي تذكير بما كان عليه الرسول ﷺ من خلق كريم، وهو الذي بعث
ليتمم مكارم الأخلاق.

وهي توضيح لكثير مما في المجتمع من رذائل تمبيها عليها،
واحتجاجا على تبيانها، وتضرعا إلى الله في أن يهيئ الأسباب لإزالتها
ومن هنا كانت استفاضة الإمام الدردير في الصلوات على خير البشر
حتى لقد رتبها على حروف الهجاء ليسهل تنوعها، وليكون ذلك من
العوامل التي تيسر قراءتها.

القسم الثالث من الأوراد :

أما القسم الثالث فهو منظومته رضى الله عنه التي تبتدئ بـ
تباركت يا أنه ربى لك الثنا فحمداً لمولانا وشكراً لربنا
ويختتمها المؤلف بقوله :

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٣

وصل وسلم سيدي كل لمحبة على المصطفى خير البرايا نبينا
وصل على الأملاك والرسل كلهم وآلهم والصحب جمعاً وعمنا
وسلم عليهم كلما قال قائل تباركت يا الله ربى لك الثنا
فالشطر الأول الذى ابتدأت به هو الشرط الأخير الذى اختتمت به، ثم
أضاف إليها الذين أتوا بعد أبيات للتوسل بعشايخ لطريقة
وهذه المنظومة راجت رواجاً كبيراً فى جميع الأوساط الصوفية، وهى
تساير التوجيه القرآنى، يقول سبحانه .
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾^(١)
ويقول .

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾^(٢)
وقد شرحها الشيخ أحمد الصوى الذى يعتبر المريد الأول للشيخ رضى
الله عنهما، ويقول فى أوائل شرحه :

« لما كانت منظومة أسماء الله الحسنى لشيخنا وشيخ مشايخنا إمام
العصر، ووحيد الدهر، القطب الشهير، والشهاب المنير، أبى البركات،
ومهيظ الرحمات، الذى عم فضله الكبير والصغير أحمد بن محمد الدردير
املكى العدوى اخلاوتى، عديمة النظر، لاحتوائها على الدعوات
الجامعة، والأسرار الالامعة، ولذلك :

قال مؤلفها. إن كل بيت منها حزب مستقل، جامع لخيرى لدنيا
والآخرة، صارف لسوءهما، وهى آخر العلوم الإلهية التى ظهرت على
لسانه، وقد أقيمت عليه فى ليلة واحدة فقام من فراشه وكتبها.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠

(٢) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

وقال العارمون: أنفع علم يؤخذ عن أهل الله آخر كلامهم، لأنه زبدة معارفهم، وجوامع أسرارهم.

وأخبرني أنه يقرأها في اليوم واللييلة ثلاث مرات وقد تعلق بها أتباعه، وشاعت بينهم، وامتزجت بأرواحهم، وسرت فيهم سريان الماء في العود الأخضر

وهاك الآن الأوراد مع المنظومة دون الزيادات التي ألحقت بها

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فهذه المسبعات العشر تروى عن لخضر عليه السلام، وتروى عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات، وجز أن يكون رواها عن الخضر عليه السلام، وهى من أوراد الصريق تقرأ صباحاً ومساءً أو كل يوم مرة أو كل جمعة مرة، أو كل شهر مرة، أو كل سنة مرة (وهى الفتحة) سبعا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِلَهِكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿ سبعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَلَقِ ﴾ سبعا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَقْرِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ الْمُنْقَثِفِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سبعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٦﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٧﴾

﴿ قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ سبعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ يَتَّخِذُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

(آية الكرسي) سبعا

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

(وسبحان الله ولحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم) سبعا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (سبعا)

اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (سبعا).

اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم (سبعا)، ثم يقول.

رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضروني، اللهم
إنني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك
من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (ثلاثاً)

اللهم إنني أعوذ بك من الفقر والعيلة، وأعوذ بك من كل بلية، اللهم إنني
أعوذ بك من لفقر إلا إليّ، ومن الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك،
وأعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً، وأعوذ بك
من شدة الأعداء، وعضال الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة،
وفجأة النعمة، اللهم إنني أعوذ بك من شر لخلق وهم الرزق وسوء
الخلق، اللهم إنني أعوذ بك من العطب والنصب، وأعوذ بك من وعثاء
السفر وسوء المنقلب، اللهم إني أعوذ بك من الزيف والجزع، وأعوذ بك من
الطمع في غير مطمع، اللهم إنني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما
بطن، (ثلاثاً).

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، (ثلاثاً)

اللهم إنني أعوذ بك من أن أظلم أو أظلم أو أهني أو يهني علي أو أصغي
أو يطفني علي، اللهم إنني أعوذ بك من الشك والشرك الظاهر والخفي
والظلم والجور مني وعلي، اللهم اجعلني منك في عيادة مبيع وحرز حصين
من جميع خلقك، حتى تبلغني أجلى معافاً من كل بلية في ديني ودنياي
وبدي وأهلي وأصحابي وأحبابي يا رب العالمين، اللهم إني أسألك لي ولهم
من كل خير سألك منه محمد نبيك ورسولك ﷺ، وأعوذ بك من كل شر
استعاذك منه محمد نبيك ورسولك ﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وهي
الآخرة حسنة وقفنا عذاب النار، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، إن الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، اللهم اجعل أفضل صلواتك
أهدأ، وأنمي بركاتك سرمداً وأزكي تحياتك فضلاً وعدداً، على أشرف

الخلايق الإنسانية ومجمع الحقائق الإيمانية، وطور التجليات الإحسانية، ومهبط الأسرار الرحمانية، واسطة عقد النبيين، ومقدم جيش المرسلين، وقائد ركب الأنبياء الكرمين، وأفضل الخلق أجمعين، حامل لواء العز الأعلى، ومالك أزمة المجد الأسنى، شاهد أسرار الأزب، ومشاهد أنوار السوابق الأول، وترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكم، مظهر سر الحود الجزئى والكللى، وإنسان عين الوجود العلوى والسفلى، روح جسد الكونين، وعين حياة الدارين، المتحقق بأعلى رتب العبودية، المتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائية، الخليل الأعظم وأحببيب الأكرم، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، كلما ذكرك اذكرون وغفل عن ذكرهم الغافلون اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانية، ولعة القبضة الرحمانية وأفضل الخليقة الإنسانية وأشرف الصورة الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية والرتبة العلية، من ادرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت ورزقت وأمت وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت، وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين، اللهم صل على من منه نشقت الأسرار، واسفلت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت يزهر جماله مونة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شىء إلا وهو به منوط، إذ لولا الوسطة لذهب كما قيل الموسوط، صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله، اللهم إنه سرك الجامع لدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، اللهم الحقى بسببه، وحققنى بحسبه وعرفنى إياه معرفة أسم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من مواهب الفضل، واحملنى على سبيله إلى

حضرتك حملاً محفوظاً بنصرتك، واقذف بى على الباطل فادمغه، وزج بى
فى بحار الأحدية، واشلنى من أوحال التوحيد، وأغرقنى فى عين بحر
الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها، واجعل
الحجاب الأعظم حياة روحى وروحه حقيقتى وحقيقته، جامع عوالمى
بتحقيق الحق الأول يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، اسمع ندائى بما
سمعت به نداء عبدك زكريا، وانصرنى بك لك وأيدنى بك لك واجمع بينى
وبينك وحل بينى وبين غيرك، الله، الله، الله

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ ﴾ (١)

﴿ رَتْنَا آتَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (٢)

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليماً، اللهم صل على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية، شمس
سماء الأسرار، ومظهر الأنور، ومركز مدار الجلال، وقطب فلك الجمال،
اللهم بسره لديك وبسيره إليك، آمن خوفاً وأقن عثرتى، وأذهب حزنى
وحرصى، وكن لى، وخذنى إليك منى، ورزقنى الغنى عنى، ولا تجعلنى
مفتوناً بنفسى، محجوباً بحسنى، واكشف لى عن كل سر مكتوم يا حى
يا قيوم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآدم ونوح وإبراهيم
وموسى وعيسى وما بينهم من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا جبريل ومكائيل
وإسرافيل والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اللهم صل على
سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حجتك، وعروس مملكتك
وإمام حضرتك وطراز ملكك وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك المقتلذ

(١) سورة القصص الآية ٨٥

(٢) سورة الكهف: الآية ١٠

بتوحيده إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من نور الوجود والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك، صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك لا تنتهي لها دون علمك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله (ثلاثاً)

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجيننا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات (ثلاثاً)

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة الرضى، وارض عن أصحابه رضاء الرضى (ثلاثاً).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم ذي الخلق العظيم. وعلى آله وأصحابه وأزواجه في كل لحظة عدد كل حادث وقديم (ثلاثاً)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم (ثلاثاً)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الذاتى، والسر السارى فى سائر الأسماء والصفات (ثلاثاً).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد كريم الآباء والأمهات (ثلاثاً)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله (ثلاثاً)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد إنعام الله وإفضاله (ثلاثاً).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعد كماله (ثلاثاً)

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تليق بجماله وجلاله وكماله وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأدقنا بالصلاة عليه لذة وصاله.

اللهم صل على سيدنا محمد طيب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور لأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثاً)

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالی القدر العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثاً)

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما في السموات وما في الأرض وما بينهما واجري يا رب لطفك الخفي في أمورنا والمسلمين أجمعين (ثلاثاً).

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة أهل السموات ولأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أمرى والمسلمين (ثلاثاً)

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في عالمين إنك حميد مجيد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم صل على سيدنا محمد انبى الأمل الطاهر المصهر وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ذى المعجرات الباهرة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ذى المناقب لفاخرة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الدنيا والآخرة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وخلقنا بأخلاقه الطاهرة.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأعظه الوسيلة والفضيلة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ذى المقامات الجليلة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وخلقنا بأخلاقه الجميلة اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وهب لنا قلبا شكورا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد واجعل سعينا مشكورا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ولقنا نضرة وسرورا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وألق علينا منك محبة ونورا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وهب لنا سرا بالأسرار مسرورا، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين، وصل وسلم على سيدنا محمد الذى جاء بالحق المبين، وصل وسلم على سيدنا محمد الذى أرسلته رحمة للعالمين، وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر أنبيائك، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ملائكتك وأوليائك، من أهل أرضك وسماواتك عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن فى علم الله أبد لأبدىين ودهر الدهرين، واجعل بالصلاة عليهم من الصديقين الأمنين يا رب العالمين.

حرف الهمزة

لهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما فى الأرض
والسماء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الملائكة
والأنبياء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وعلى سائر
العلماء والأولياء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تملأ
سائر الأقطار والأرجاء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وحققنا بحقائق الصفات والأسماء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تقينا بها
شر الحساد والأعداء.

حرف الباء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الناطق بالصدق
والصواب، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل من أوتى
الحكمة وفصل الخطاب، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد باب
الأبواب ولباب اللباب، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأزل
عن قلوبنا بنوره ظلمة الحجاب، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وألهمنا الحكمة والصواب، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد واسقنا من لدنك صافى الشراب، وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وفهنا أسرار الكتاب، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وأدخلنا حظيرة القدس فى جملة الأحباب، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والأصفياء والآل
والأصحاب.

حرف التاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جاء بالآيات البينات،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد المؤيد بجلال المعجزات، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد لقاتل إثم الأعمال بالنيات، وصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد الساري سره في سائر الكائنات، وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وكفر بها عنا السيئات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وأيدنا بالكرامات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وجعلنا
بجميل الصفات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأزل من قلوبنا
حب الرياسة وجميع الشهوات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وأنعم علينا بتجسي الأسماء والصفات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وأغرقنا في عين بحر الوحدة السارية في جميع الموجودات، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد وأبقنا بك لا بنا في جميع اللحظات،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وانتشر علينا نعمتك المخصوصة
بأهل العنايات، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأدقنا
لذة تجلي الذات، وأدمها علينا ما دامت الأرض والسموات، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه، وعلى كل من
صدق رسالته والطف بنا وبوالدينا وبسائر المسلمين واسلمات في
الحياة وبعد الممات.

حرف الشاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد كل قديم وحادث، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة يعم نورها جميع الحوادث، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما صدق صادق ونكث
ناكث وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واكفنا
شر الحوادث.

حرف الجيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد المخصوص بالإسراء والمعراج،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وتوجد من القبول بهج تاج، صلى
الله عليه وعلى آله وأصحابه المحفوظين من الأعوجاج

حرف الحاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد زين الملاح، وصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد معدن الجود والسماح، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد ما تعاقب الغدو والرواح، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام
أهل حضرة الكريم لفتاح، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وجعلنا
بالصلاة عليه من أهل الفوز والفلاح، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه أولى الفصل والرباح

حرف الخاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى بسره استقامت البرازخ،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد كل منسوخ وناسخ، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وعمر قلوبنا بالنور الراسخ، صل الله عليه وعلى
آله وأصحابه الذين هم فى محبته كالجبال الرواسخ

حرف الدال

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أشرف دواع إلى الله وهاد،
وصل وسلم وبارك على محمد واسلك بنا سبيل الرشاد، وصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد واخلع علينا خلع الرضوان والوداد، وصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد وتوجنا بتاج القبول بين العباد، وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وارف بنا رافة الحبيب بحبيبه يوم التناد، وصل وسلم وبارك

على سيدنا محمد وانشُر طريقَتنا في البلاد، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعَمَّرَ بسواطع أنوارها كل من اشتغل بها من كل حاضر وباد، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وقنا شر الحساد وأهل البغى والعناد، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وأصلح ولادة أمورنا بالعدل والسداد، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والإمداد

حرف الذال

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أستاذ كل أستاذ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد ملاذ كل ملاذ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأعذنا من كل ما منه استعاذ

حرف الراء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد معدن الأسرار، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد مظهر الأنوار، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وقنا عذاب النار، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار.

حرف الزاي

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي تشرفت به أرض الحجاز، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي من اتبعه فقد هز، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد واكشف لنا عن أسرار المنع ولجواز، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المختصين بحسن المغاز.

حرف السين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد طيب الأنفاس، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وابسط لد الرزق واغثنا عن الناس، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وظهرنا من الأدناس، وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين أزلت عنهم الالتباس

حرف الشين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي لم يرض بلين
الفرش، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي كان من خلقه
البشاش، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي تبرا من الغاش.
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وارزقنا
ببركته طيب المعاش.

حرف الصاد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الأمر
بالتقوى والإخلاص، وصل وسلم وبارك على محمد وعلى آل سيدنا محمد
وأجعلنا بالصلاة عليه من عبادك الحواص، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه أولى لقرب والاختصاص

حرف الضاد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد لدى
أزهرت ببركته الرياض. وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد صاحب المدد الفيض، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد الذي أهرض عما سوى الله كل الإعراض، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وانزع من قلوبنا حب

الشهوات والأغراض، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه المطهرة قلوبهم من الأمراض

حرف الطاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
الهادي إلى سواء الصراط، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
آل سيدنا محمد لآمر بالعدل والنهي عن التفریط والإفراط،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
وسلمنا ببركته من الانحطاط، وصل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه الذين ربطوا قلوبهم بمحبته كل
الارتباط.

حرف الخاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد
كل محفوظ وحافظ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد عدد كل موعوظ وواعظ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه الذين اتعظوا منه بجميل المواعظ

حرف العين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الساطع، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي تلتذ بحديثه المسامع، وصل
وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي هو لكل خير جامع، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وأرل عن قلوبنا البراقع، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كن مجمعهم خير
المجامع.

حرف الغين

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
صاحب الرسالة والبلاغ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد صلاة تملأ السموات والفراغ

حرف الفاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الأمر
بالعدل والانتصاف، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد الناهي عن التبذير والإسراف، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آل سيدنا محمد البحر الخضم الذي منه الاعتراف، وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأسعفنا به كل الأسعاف،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل وأصحابه الذين ارتشفوا من
فيض نوره جميل الارتشاف.

حرف القاف

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد خير
خلق الله على الإطلاق، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد صلاة تزيل بها عنا الوهم والنفاق، وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تدخلنا بها حضرة الإطلاق،
وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل وأصحابه أولى البأس الشديد
عند التلاق

حرف الكاف

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
ما تحركت الأفلاك، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد عدد تسبيح الأملاك

حرف اللام

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد بطل الأبطال، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد معدن الجود والتوال، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأذقنا لذة الوصال، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه كلمة الرجل

حرف الميم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد السيد الهمام، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد أفضل الرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام على ممر الليالي والأيام، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجيننا بها من الشكوك والأوهام، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام.

حرف النون

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سيد الأكوان، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تملاً الأمكنة ولأزمان، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة ترتقى بها إلى مقام المعرفة والإحسان، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعيان

حرف الهاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد لعالي القدر العظيم الجاه، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأطلعنا على أسرار لا إله إلا الله.

حرف الواو

اللهم صل وسلم وبرك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي ما نطق عن الهوى، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي ما ضل عن الحق وما غوى، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وألبسنا بالصلاة عليه لباس التقوى، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وظهرنا بها من الشكوى والدعوى، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وكف عنا بها الأسواء والبلوى، وصل وسلم وبرك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد والطف بنا ببركتها في السر والنجوى

حرف اللام ألف

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ذي المقام الأعلى والسر الأجل، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد في الخلا والملا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد أهل العلا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واكشف لنا عن مقامات الولا والاستجلا.

حرف الياء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى كل نبي. وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى كل ملك وولي، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى كل علم وتقى، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى سائر المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وتابع بيتنا وبيتهم بالخيرات والبركات، إنك قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقاؤك، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فكتبنا مع الشاهدين.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررن وما أعلنا وما أنت أعلم به منا

اللهم أرنا الحق حقاً فنلتبه، وأرنا البطل باطلاً فنجتنبه، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عن سواك

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وآخرتنا إنك على كل شيء قدير

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك، ودوام الإقبال عليك، واكفنا شر وساوس الشيطان، وقنا شر الإنس والجان واخلع علينا خلع الرضوان، وهب لنا حقيقة الإيمان، وتول قبض أرواحنا عند الأجر بيدك، مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ونوراً ساطعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء. وأسألك الغنى عن الناس. رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، رب وزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين

منظومة سيدى أحمد الدردير

تبركت يا الله ربى لك الثناء
بأسمائك الحسنى وأسرارها التى
فندصوك يا الله يا مبدع الورى
ويا رب يا رحمان هبنا معارفنا
وسر يا رحيم العالمين بجمعنا
ويا مالك ملك جميع عوالمى
وقدس أيها قدوس نفسى من الهوى
ويا مؤمن هب لى أماناً وبهجة
وجسد لى بعز يا عزيز وقسوة
وكبر شئونى فيك يا متكبر
ويا بارئ احفظنا من الخلق كلهم
وبالفقر يا غفار محص ذنوبنا
وهب لى أيا وهاب علماً وحكمة
وبالفتح يا فتاح عجل تكرونا
ويا قابض اقضنا على خير حالة
ويا خافض اخفض لى القلوب تحببنا
وبالزهد والتقوى معز أعزنا
ونفذ بحق يا سميع مقالتى

فحمدنا لمولانا وشكراً لربنا
أقمت بها الأكوان من حضرة الفنا
يقيناً يقيناً الهم والكرب والعنا
ولطفنا وإحساننا ونوراً يعمننا
إلى حضرة القرب المقدس واهدنا
لروحى وخلص من سواك عقولنا
وسلم جميعى يا سلام من الضنا
وجمىل جنانى يا مهيمن بالنا
وبالجبر يا جبار هدد عدونا
ويا خالق الأكوان بالفيض عمنا
بفضلك واكشف يا مصور كرينا
وبالقهر يا قهار اقهر عدونا
وللرزق يا رزاق وسع وجدنا
وبالعلم نور يا علیم قلوبنا
ويا باسط الأرزاق بسطاً لرزقنا
ويا رافع ارفع ذكرنا وقدرنا
ونزل بصفو يا مذل نفوسنا
وبصر فؤادى يا بصير بعيننا

ويا حكم يا عدل حكم قلوبنا
وحف بلطف يا لطيف أحبتى
وكن يا خبيراً كاشفاً لكروبنا
وبالعلم عظم يا عظيم شئونا
غفور شكور لم تزل متفضلاً
على كبير جل عن وهم وإهم
وكن لى حفيظاً يا حفيظ من الهلا
وأنت غيathi يا حسيب من الردى
وجدد يا كريمًا بالعطا منك والرضا
رقيب علينا فاعفُ عنا وعافنا
ويا واسعاً وسمع لنا العلم والعطا
وثودُ فجذُ بالسود منك تكرمنا
ويا باعث ابعثنا بخير حسالة
ويا حق حققنا بسر مقدس
قوى متين قو عزمى وهمى
ويا محصى الأشياء يا مبدى الورى
أعدنا بنور يا معيد وأحيننا
مميت أمتنى مسلماً وموحداً
ويا حى يا قيوم قوم أمورنا
ويا ماجد شرف بمجدك قدرنا
ويا صمد فوضت أمرى إليك لا

بعدك فى الأشياء وبالرشد قونا
وتوجهموا بالنور كى يدركوا النى
وبالحلم خلق يا حلیم نفوسنا
وفى مقعد الصدق الأجل أجلنا
فبالشكر والغفران مولای خصنا
فسبحانك اللهم عن وصف من جنى
مقيت أقتنا خير قوت وهننا
وأنت ملائى يا جليل وحسبنا
وتزكية الأخلاق والجود الغنى
ويسرُ علينا يا مجيب أمورنا
حكيمًا أنلنا حكمة منك تهدنا
علينا وشرف يا مجيد شئونا
شهيد فأشهدنا علاك بجمعنا
وكيل توكلنا عليك بك اكفنا
ولى حميد ليس إلا لك الثنا
تعطف علينا بالمسرة والهننا
على الدين يا محيى الأنام الفنا
وشرف بنا قدرى كما أنت ربنا
ويا واجد أنت الغنى فأغننا
ويا واحد فرج كروبى وغمنا
تكنفى لنفسى وأهدنا رب سبنا

ويا قبادر اقدرنا على صدعة العنا
وقدم أمورى يا مقدم هيبسة
ويا أول من غير بده وآخر
ويا ظاهراً فى كل شىء شئونه
ويا والياً لسننا لغورك ننتمى
ويا هرّ يا ثواب جُذّ لى بتوبة
ومستقم هالك انتقم من عدونا
ويا مالك الملك العظيم بقهره
ويا مفسط بالاستقامة قونا
غنى ومن أغتنا بك سيدى
ويا ضار ضر المعتدين بظلمهم
ويا نور نور ظاهرى وسراثرى
بديع فاتحفنا بدائع حكمة
ويا وارثاً ورثنى علماً وحكمة
وأفرغ علينا الصبر بالشكر والرضا
باسمائك الحمىنى دعوناك سيدى
بأسرارها غمّر فؤادى وظاهرى
ونور بها سمى وشمى وناظرى
ويسر بها أمرى وقسو عزائمى
ووسع بها علمى ورزقى وهمتى
وهب لى بها حباً جليلاً مجملاً

ومقتدر خلص من الغير سرنا
وأخر هدانا يا مؤخر بالعنا
بغير انتهاء أنت فى الكل حسبنا
ويا باطناً بالغيب لا زلت محسناً
وبالنصر يا متعالياً كن معزناً
نصوح بها تمحو عظام جرمنا
عفو رءوف عافنا واراقن بنا
ويا ذا الجلال الطف بنا فى أمورنا
ويا جامع قاجمع عليك قلوبنا
ومانع امنع كل كرب يهمننا
ويا نافع أنفعنا بنور ديننا
بحبك يا هادى وقوم طريقتنا
ويا بقياً بك ابقنا فيك أفننا
رشيد فأرشدنا إلى طرق الثنا
وحسن يقين يا صبور ووفنا
تقبل دعانا ربنا واستجب لنا
وحقق بها روحى لأظفر بالمنى
وقو بها نوقى ولسى وعقلنا
وزك بها نفسى وفرج كربنا
وحسن بها خلقى وخلقى مع الهنا
وزدنى بفرط الحب فيك تفننا

وهب لي يا رباه كشفا مقدما
وجمّد لي بجمع الجمع فضلا ومنة
وسر بي على النهج القويم موحدا
ومنّ علينا يا وود بجذبة
وصلّ وسلم سيدي كل لحمة
وصل على الأملاك والرسل كلهم
وسلم عليهم كلما قال قائل

لأدري به سر البقاء مع الفنا
وداو بوصل الوصل روي من الضنا
وفي حضرة القدس المنيع أحلنا
بها نلحق الأقوام من سار قبلنا
على المصطفى خير البرايا نبينا
وآلهمّو والصّخب جمعاً وعمّنا
تباركت يا الله ربي لك الثنا

خاتمة

من المسائل التي تدعو إلى إنعام النظر السؤال التالي

هل كن سيدى أحمد الدردير خلوتياً فحسب؟

إنه كان خلوتياً ما فى ذلك ريب، بيد أن كبار المشايخ لا تحكمهم طريقة، حقيقة إنه لابد للمريد من أن يلتزم طريقة واحدة مادام مريداً سالكاً، وإلا تشعبت به السبل، وتخطى طريقه، ولم ينتفع بسيره، إنه لابد للمريد من طريقة واحدة.

أما الأساتذة الكبار فمنهم أكبر من أن تقيدهم طريقة، ولذلك تجدهم يأخذون العهد على بعض من يرون فيه أنور الله، استعداداً للنور من مصادر عدة، ولهم مع ذلك أصالتهم وأنوارهم

وسيدى أحمد الدردير من هؤلاء الأساتذة الكبار. وطابعه العام

الخلوتية

ومع هذا الطابع العام فقد ألف رسالة فى شرح شعار السادة الوفائية سماها مشكاة الأسرار، فى بيان معانى:

«يا مولاي ي واحد، يا مولاي يا دائم، يا على يا حكيم»

شعار السادة الوفائية

وفيهما يقول:

يقول لعبد الفقير. والراجى رحمة التقدير، أحمد بن محمد الدردير،

المالكى الخلوتى :

الحمد لله الذى أدخل أهل الوفا، رياض الأنس والصفاء، وسقاهم من
كؤوس محبته شراب طهوراً وأزال عنهم الجفاء، وجعلهم من أهل الخفا،
وأولاهم من جميل مودته لواء الخافقين منشوراً

ويقول فى الرسالة المذكورة :

وبعد فقد التمس منى بعض الأحباب الذين لا تسعنى مخالفتهم أن
أتكلم على بعض شىء مما حواه قول العارف الأكبر، والعلم الأشهر،
والفوت الفرد، الجامع الأنوار، من أجمع العلماء والعارفون على إمامته
وصديقته، وأنه القطب الأوحى، والسيد الأمجد، سيدى محمد وفا،
أبو العارف الأكبر سيدى على وفا لأنوار، رضى الله عنه وعن والديه
وأولاده، وعننا بهم، آمين، وهو قوله فى توجهاته وتوسلاته، وتنقلاته فى
حزبه وأحواله :

«يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا على يا حكيم»

ف سر اختياره لهذه الأسماء بخصوصها وما سر ترتيبها وما سر كثرة
استعمالها فى تلك لأطوار حتى صارت من شعاره وشعار آل بيته وأتباعه
إلى يوم القيامة فأجبتة متطفلاً على باب كرمه، لما لى من نسبة بساداتنا
بنى الوفا فى العالم الروحاني، ونمسكاً بحبل بركاتهم فى المعدن
الجمسماني

إنه كما يقول -له نسبة إلى السادة الوفاية فى لعالم الروحاني-
ويتمسك بحبل بركاتهم فى المعدن الجمسماني

وحينما يبدأ اشرح يقول فى الإمام القطب سيدى محمد وفا

فأقول مستمداً من الله ومن بركة هذا لإمام الجامع

عمل هذا القطب الفردى أدخله الله تعالى فى مخدع التقريب، وأجلسه
فى منصة القدس، وخلع عليه حبع لرضا، وتوجه بتاج الكمال والبهاء،

وسقاه من صفى خمرة وداده، فعرفه نفسه وما يليق بها من آداب العبادة، فعرف ربه بما يليق بجلال جماله، وجعل جلاله فى حضرة القدس الأنزه، فقام بذلة العبد بين يدى المعبود، وهذا المقام هو المقام المحمود، يستحقه الوارث بالوراثة من حضرة محمد ﷺ، فهو المقام المحمدى الأحمدى، خاطب ربه تعالى بهذا الخطاب العجيب، تليذا بمقام التقريب، واختار الخطاب بهذه الأساء لما فيها من تمام الأنس، واستلذذ بلذيت ذكرها، ولما فيها من القيام بحق المعبود والعبد على ما سيظهر - إن شاء الله تعالى - فى شرحها».

والسادة الوفائية شاذلية..

إنه مما لا شك فيه أن الإمام الدردير بقى خلوتياً بحثاً حالصاً لا شائبة فيه لغيره منذ سنة ١١٦٠ هـ إلى سنة ١١٧٣ هـ. أى فى هذه الفترة التى كان فيها مريداً، ولكنه بعد أن أخذ المشيخة وأصبح أستاذاً، ماذا كان شأنه؟

إنه بقى لاشك فى جوهره خلوتياً ومع ذلك فقد كان بجوار خلوتيته مكاناً لأنوار أخرى وكان فى ذلك يتأسى بشيخه الشيخ الحفناوى الذى كان مع اتباعه للطريقة الخلوتية له سند إلى الطريقة الشاذلية، والإمام الحفناوى يذكر فى صراحة سنده إلى الطريقة لشاذلية، فيقول فى وضوح.

سند أحزاب الشاذلى بالنسبة للشيخ الحفناوى

أجازنى بذلك شيخنا البديرى قال أجازنى بجميع ما ينسب إلى ناج العارفين القطب الشيخ أبى الحسن الشاذلى، من أحزاب وأوراد، وأدعية، وغير ذلك، ومما ينسب للولى الصالح محمد بن سليمان الجزوى من دلائل الخيرات، والمسبغات العشر وحزب الفلاح، وغير ذلك شيخنا القطب الربانى سيدى محمد بن أحمد المغربى المكناسى المصطارى عليه رحمة

الباري. وهو قد أخذ الطريق عن العارف الرباني أبي القاسم بن أحمد السفيناني صاحب الكرامات الظاهرة، وهو عن شيخه العارف بالله تعالى سيدي محمد الشرقي، وهو عن شيخه سيدي عبد الله بن ساسي، وهو عن شيخه عبد الله القرواني، وهو عن شيخه عبد العزيز التباع، وهو عن شيخه سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات، وهو عن شيخه السيد عبد الرحمن الشريف، عن شيخه سيدي عثمان عن شيخه عبد الرحمن الرجراجي، عن شيخه سيدي عيونس البدوي، عن شيخه الإمام القرقي، عن شيخه عبد الله المغربي، عن شيخه تاج العارفين سيدي علي أبي الحسن الشاذلي الشريف لحسيني، وهو عن شيخه عبد السلام ابن ميثش، وهو عن شيخه سيدي عبد الرحمن المدني، عن أبي بكر الشبلي، عن أبي القاسم الجنيد شيخ الطريقة، عن خاله سري السقطي عن أستاذه سيدي حبيب العجمي، عن سيد التابعين الحسن البصري، عن سيد شباب أهل الجنة، الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو عن جده المعظم سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وكذا أروى حزب البحري عن شيخنا المذكور عن شيخه الملقب إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي، ثم المدني، قرأه عليه يوم عيد النحر في منى، وهو عن الفقيه الشيخ سلطان المزاحي، وعن المحدث الشيخ محمد البابلي، بإجازتهما العامة به، وهما عن سالم السنهوري، عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن العز بن لفرات، عن تاج الدين بن عطاء الله السكندري، عن أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري أمري ساعا، عن تاج العارفين سيدي أبي الحسن الشاذلي ح قال الملقب إبراهيم المذكور، وسمعت الحزب أيضا عن الشيخ عيسى بن محمد بن محمد بن عامر الجعفري المغربي ثم الجزائري قائلا: أرويه سماع من لفظ أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري ما لا يحصى كثرة، عن لفخر أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ، عن عمه

الشيخ سعيد بن أحمد المغربي التلمساني، عن عبد الله التونسي عن والده الحافظ محمد بن عبد الله التونسي الأموي، عن الحافظ البحر أبي عبد الله محمد بن زروق التلمساني الشهير بالحفيد، عن شيخ أبي الطيب محمد ابن علوان التونسي، عن الشيخ الصالح أبي الحسن اليطروني قال: أخبرنا الشيخ الرباني أبو العزم الشيخ ماضي وهو خادم الشيخ أبي الحسن بالحزب عن شيخه أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه وعذ به وبهم آمين، وجعلنا بهم من الواصلين آمين والحمد لله رب العالمين

ونعود إلى الإمام الدردير، إنه في أوراده، في صيغ الصلاة على الرسول ﷺ له صلواته الخاصة التي رتبها على الحروف الأبجدية، ولكنه أورد قبلها صيغاً كثيرة هي الصلاة على الرسول ﷺ هي صيغ مشهورة معروفة لكبار الأولياء:

لقد أورد صيغة للإمام الغزالي، وأخرى للإمام الشاذلي، وثالثة لسيدى عبد السلام بن مشيش، ورابعة لسيدى إبراهيم الدسوقي وهكذا أورد ثلاثين صيغة من صيغ الصلاة على خير لرسول ليست له

ومن الحق أن نقول: إن اختياره لهذه الصيغ من بين الفيض النوراني في صيغ الصلاة على السراج المنير، إنما كان لمعان خاصة رآها فيها، وما كان ذكرها إنما هو مجرد اتفاق، وإنما كان اختياراً متدبراً، فهو يرشد إلى أن الأئمة الكبار هم من سعة الأفق بحيث لا يتحكم فيهم تيار معين إنهم هم الدين يتحكمون في التيارات كما يتحكمون في الأحوال، ولفرق بين الشيخ والمريد هو أن الشيخ يتقلب في أنوار، والمريد يسعى بفضل الله في تيار من النور معين.

وهؤلاء الأئمة الكبار في مستوياتهم العليا لا ينزلون إلى مستويات الموازنة والتفضيل بينهم وبين غيرهم، كلا. إنهم يتخذون شعار الكريم

وكنهم من رسول الله ملتمس غرقا من البحر أو رثما من الدِّيم

إن الموازنة والتفضيل واسدح في شيخ والخط من غيره من شيم الذين لم يتنسوا الروحانية، وهي طريقة لا ترضى الأئمة. ومن احير أن يتخلى عنها كلية الأتبع والسالكون، حتى تسود بين كل هذه الطرق وحدة منسجمة وتعاون في قيادة الناس إلى الله تعالى

والشيخ رضى الله عنه يقول في كتابه الخريدة حرفيا

إن ممن سلك المسلك المستقيم القطب الرباني الإمام سيدي أحمد بن الرفاعي وأتباعه، والقطب الرباني الإمام سيدي عبد القادر الجيلاني وأتباعه، والقطب الرباني السيد أحمد البدوي وأتباعه، والقطب الرباني السيد إبراهيم الدسوقي وأتباعه، والقطب الرباني لسيد علي أبو الحسن الشاذلي وأتباعه، والقطب الرباني سيدي محمد الحلوتي وأتباعه، والقطب الرباني سيدي عبد الله النقشبندی وأتباعه، هؤلاء كلهم سادت الأئمة المحمدية، رضى الله عنهم وعنا بهم آمين.

إن دعة الخير الدين أخلصوا وجوههم لله وفي سبيل الله، لا يفترقون أحزابا شتى يتنازعون ويتعارضون، كلا بل يتسامدون ويتعاونون ويجمعهم الهدف السامي. الهداية.

فإذا لم يوحدهم الهدف السامي فإنهم طلاب دني، وليسوا في دعوتهم بمخلصين، إن أهل الله حق لا يسيئون إلى أهل الله

وأسلوبهم أن يأخذوا بيد الضعيف، وأن يهدوا الضال، وأن يقودوا إلى الله من انحرف عن الطريق، وأن يسيروا بالإنسانية نحو حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ. وأن يجمعوا القلوب على امودة والرحمة والأخوة والثقة في الله سبحانه.

ورسالة الصوفية لأنفسهم. ورسالتهم لغيرهم واضحة إنها.

التاسي برسول الله ﷺ.

يقول تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(١)
وهذا التاسي بخير الخلق له جوانب منها

١ - العلم :

إن شعار رسول الله ﷺ هو :

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٢) .

ولا يتأتى - في البداهة البديهية - التاسي برسول الله ﷺ إذا لم يعلم الإنسان سيرته :

لابد من دراسة سيرته ﷺ، ودراسة أحاديثه عليه الصلاة والسلام،
ولن يتأتى العلم بسيرته ما لم تدرس أحاديثه

وإذا كانت دراسة سيرة رسول الله ﷺ هي القمة من الشعار الإسلامي

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٣) .

فإن هذا الشعار مع ذلك عام.

ولابد إذن من أن يكون الصوفي مريداً وشيخاً عالماً وإذا كان

ذلك واجباً في المريد فهو أوجب في الشيخ

بل إنا نقول إن الشيخ لا يكون شيخاً ما لم يعلم سيرة رسول الله ﷺ

وأحاديثه، وتفسير القرآن الكريم، وفقه العبادات

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١

(٢) سورة طه: الآية ١١٤

(٣) سورة طه: الآية ١١٤

فإذا لم يكن كذلك فقد ضل وأضل، وطلب الدنيا عن طريق دينه،
أو بتعبير آخر عن طريق عدم المبالاة بدينه، وذلك أسلوب يهمله الله
ورسوله والصالحون.

ولقد كان أسلافنا من الصوفية رضون الله عليهم من كبار العلماء،
وكانوا يقولون:

«علمنا هذا مشيد على الكتاب والسنة».

وكلمة الكتاب والسنة تختصر ما يجب أن يقوم عليه التصوف، الكتاب
والسنة، وفيهما كل ما يحتاج إليه المسلم في دينه

إن الصوفى داعية وهاد، وقد بين القرآن الكريم شروط الداعية الهادى،
وأول شرط أن يكون على بصيرة من أمره، يقول سبحانه:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَنَ
اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١)

والدعوة على البصيرة هى الدعوى على أساس من العلم

ومن أهم ما يعين الصوفى على أداء رسالته الكتب التالية.

١ - تفسير القرآن الكريم، ويمكن أن يكتفى بتفسير الجلالين.

٢ - رياض الصالحين.

٣ - الترغيب والترهيب.

٤ - السيرة النبوية لابن كثير

٥ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالى

٦ - الرسالة القشيرية.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨

وهذه المجموعة من الكتب هي الحد الأدنى الذى لا يطمئن الإنسان على الصوفى بدونها، وكلما شرح الله صدره للاستزادة كان متمشياً مع الشعار الإسلامى.

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١).

ومن جانب التأسى برسول الله ﷺ :

٢ - إسلام الوجه لله تعالى ،

وإسلام الوجه لله تعالى هو ثمرة الإسلام أو هو الإسلام، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام، فقال :

« أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذكرك »^(٢).

فإسلام القلب لله أو إسلام الوجه لله أو التوحيد إن كل ذلك يعبر عنه الله سبحانه شارحاً له بقوله لرسوله ﷺ .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٣)

ومن رسالة الصوفية - إذن - لأنفسهم ولغيرهم إسلام القلب لله

يجب على الصوفى أن يبشر فى نفسه وفى غيره بالمعنى الذى تتضمنه الآية الكريمة سابقة، وهو أيضاً لمعنى الذى يعبر عنه القرآن الكريم بقوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾^(٤)

(١) سورة طه الآية ١١٤

(٢) متفق عليه

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٥

وهناك من أسلموا وجههم لله، وهناك من أسلموا وجههم للشيطان، ومن مهمة الصوفي أن يستنقذ من أسلموا وجههم للشيطان، ويقودهم إلى الله.

«ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم»^(١)

ومن المسائل المهمة في التأسي برسول الله ﷺ والتي تجب على الصوفي قبل أن تجب على غيره:

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهو مبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى، جعله الله من أسس خيرية الأمة الإسلامية، حيث قال:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٢)

ولقد كان الرسول ﷺ أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر طيلة حياته، وهو الذي يقول فيما روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه:

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن. ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ».

وهو الذي يقول فيما روه مسلم عن أبي سعيد الحدرى رضي الله عنه «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

(١) متفق عليه

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠

وهو الذى يقول فيما رواه الترمذى، عن حديفة رضى الله عنه :
 «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن
 الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»
 والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إلى سبيل الله وفى ذلك يقول
 الله تعالى مبيناً كيفيتها:

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١).

ويصف سبحانه طريق التبليغ فيقول:
 ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ
 وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ^(٢).

ولابد للصوفى من أن يتبع هذا المبدأ فى نفسه وفى أسرته وفى
 مجتمعه، والا لما حقق التأسى برسول الله ﷺ

٤ - شعار الرحمة :

يقول سبحانه لرسوله الكريم :
 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣)
 ويقول صلوات الله وسلامه عليه متناسقاً مع القرآن الكريم

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٩

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

«إنما أنا رحمة مهداة»^(١).

والرحمة من أصول الأخلاق لإسلامية، ويصف الله سبحانه الرسول ﷺ
ومن معه بقوله :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَنَّهُمْ زُكَّاءَ حُسْجًا يَقْتَفُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا يَسِيمًا هُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَرَرِجٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعْطَفَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ
كَرُّرًا عَ لِيُعْطِيَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُعْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

وفي الرحمة ما لا يكاد يحصى من النصوص والآثار في القرآن الكريم
وفي السنة النبوية الشريفة، وفي سلوك رسول الله ﷺ، وفي سير السلف
الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ولابد للصوفي من أن يسير على الدرب، وأن يكون رحمة ينثرها
أينما حل، وحينما كان ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي، والراحمون
يرحمهم الرحمن.

وبعد فإننا إذا كنا قد رسمنا بعض ما ينبغي للصوفي فإننا كنا في كل
ذلك نصف الإمام الدردير.

لقد كن عاباً كأجمل وأعمق ما يكون العلماء
وكان مسلماً وجهه لله

(١) متفق عليه

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩

وكان أمراً بال معروف ناهياً عن المنكر، وله في ذلك وقائع مشهورة مع
المعاليك أصحاب الحكم والسلطان، ومع الشعب.

وكان رحيماً ومن رحمته أنه كان في خدمة الناس وقضاء مصالحهم
وعلى القائمين على التصوف أن يشعروا شعوراً واضحاً برسالتهم،
ويسيروا في الطريق إذا كانوا حريصين على أن تستمر رسالة التصوف.
رسالة الهداية والرحمة، وإسلام الوجه لله، وهي رسالة تنفع الفرد
والمجتمع والإنسانية.

وأما بعد: فإننا إذا كنا قد تحدثنا عن بعض ما ينبغي للصوفي،
فإن المنهج العام للمؤمنين - والصوفية على رأسهم - هو ما ربه الله
سبحانه بقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(١)

* * *

(١) سورة التوبة: الآية ١١١

فهرس الكتاب

الوضع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول	
عن والد سيدى أحمد لدردير	٣١
الفصل الثانى	
عن حياة سيدى أحمد الدردير	٤٣
الفصل الثالث	
الاتباع والأسوة	٥٧
الفصل الرابع	
تصوفه	٦٥
الآداب	٧٨
رتبة الصديقية	٨١
الطريق إلى الله	٨٢
سلوك الأنبياء	٨٢
النفوس سبعة بحسب أوصافهم	٨٣
عين اليقين	٨٥
حق اليقين	٨٥

الموضوع	الصفحة
الخوف والرجاء	٨٦
الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى	٨٧
أركان التوبة	٨٧
مراقبة الله	٩٩
من آداب السالكين	١٠٠
علامة صفاء القلب	١٠٢
النور الإلهي	١٠٤
فائدة الدعاء	١٠٥
اللهم حسن الخاتمة	١٠٥
آداب الطريق	١٠٧

الفصل الخامس

أوراد سيدي أحمد الدردير	١١٧
بين يدي الأوراد	١١٨
حرف الهمزة	١٣٦
حرف الباء	١٣٦
حرف التاء	١٣٧
حرف الثاء	١٣٧
حرف الجيم	١٣٨
حرف الحاء	١٣٨
حرف الخاء	١٣٨

الموضوع	الصفحة
حرف الدال	١٣٨
حرف الذال	١٣٩
حرف الراء	١٣٩
حرف الزاي	١٣٩
حرف السين	١٤٠
حرف الشين	١٤٠
حرف الصاد	١٤٠
حرف الضاد	١٤٠
حرف الطاء	١٤١
حرف الظاء	١٤١
حرف العين	١٤١
حرف الغين	١٤٢
حرف الفاء	١٤٢
حرف القاف	١٤٢
حرف الكاف	١٤٢
حرف اللام	١٤٣
حرف الميم	١٤٣
حرف النون	١٤٣
حرف الهاء	١٤٣
حرف الواو	١٤٤

الموضوع	الصفحة
حرف اللام ألف	١٤٤
حرف الياء	١٤٤
منظومة سيد أحمد الدردير	١٤٧
خاتمة	١٥١

رقم الإيداع	٢٠٠١/٧٢٧٤
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6133-5

١/٩٢/٩٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



يُعدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة العربية بأمهات الكتب بين تحقيق وتأليف وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي وكتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل النبوة » ، و « القرآن في شهر القرآن » إلى جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمور الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على مر العصور .

عبد الحليم محمود

٠٣١٥٤٤/٠١

